هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة
تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية - القدس

العدد 155

محرم/ صفر 1443هـ آب/ أيلول 2021 م

المشرف العام
الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير
الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج
محمود طنينة

هيئة التحرير

د. إسماعيل أمين نواهضة
أ.د. حسن عبد الرحمن السلوادي
د. حمزة ذيب حمودة
د. سعيد سليمان القيق
د. شفيق موسى عياش

المراسلات: مجلة الإسراء

الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام . دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب: 20517- القدس / ص.ب: 1862 رام الله - تلفاكس : 02-6262495 / 02-2348603

موقعنا على الإنترنت :www.darifta.ps للمراسلة عبر البريد الإلكتروني :israa@darifta.ps

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب .

القدس عاصمة فلسطين الأبدية

فهرس العدد

افتتاحية العدد

التطلع لإحدى الحسنيين	الشيخ محمد حسين	4

كلمة العدد

نظرة في معنى الهجرة وأهدافها وفقه أحكامها	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	14

ملف العدد

الهجرة النبوية رحلة مع الله تعالى	الشيخ عمار توفيق بدوي	23
دراسة مقارنة بين الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة المنورة	أ. لبيب طه	29
في رحاب الهجرة النبوية الشريفة - قصيدة	الشيخ محمد ذياب أبو صالح	36
نفحات من الهجرة النبوية - قصيدة	أ. زهدي حنتولي	38

إضاءات فقهية

تجاوزات تتعلق بالطلاق	الشيخ د. يسري عيدة	39
فضل صلاة الجماعة، وحكمها، والفرق بين أدائها في المسجد وغيره	الشيخ شريف مفارجة	45

فتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية	51

فهرس العدد

قراءات

العهدة العمرية ومحاولات التشويه والتزوير	د. محمد بحيص عرامين	56
القدس والأقصى في منهاج اللغة العربية الفلسطيني	أ. يوسف عدوي	64
ذكريات عاشوراء بين الفرح والأحزان	الشيخ أحمد شوباش	76
قضى ومضى المحدث	الشيخ د. حمزة ذيب	82
العلامة المغربي التطواني محمد بن الأمين الحسني رحلة في كتاب التوابين	أ. كمال بواطنة	89

أدبيات

مضرب الأمثال	أ. هالة عقل	93
اقرأ وتذكر	أ. إيمان تايه	98
رحيق الود - قصيدة	أ. يوسف شحادة	101

نشاطات ... ومسابقات

باقة من نشاطات وأخبار مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن	أ. مصطفى أعرج	102
مسابقة العدد 155	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 153	أسرة التحرير	111

التطلع لإحدى الحسنيين

الشيخ محمد أحمد حسين
المشرف العام

حياة المرء تعتريها الشدة والرخاء، وحال المؤمن حيال ذلك متميز؛ لاعتقاده أن ما يصيبه خير في سرائه وضرائه، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ؛ إن أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا له، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا له) [1]

ومن هذا المنطلق، فإن المؤمن يبتعد عن الغرور عند تمتعه بالنعم، ويبعد نفسه عن خلجات الإحباط واليأس والبؤس، لما تتابه المآسي، وتصيبه الأضرار.

الحُسنيان:

في سياق المقدمة أعلاه، فإن المؤمن عند المواجهة مع أعدائه ينتظر أمراً من اثنين لا ثالث لهما، النصر أو الشهادة، وقد وجه الله في القرآن الكريم المؤمنين للتطلع لأحد هذين الأمرين، وأمرهم بالإفصاح عن ذلك للملأ، بمن فيهم أعداؤهم، فقال عز وجل: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ} (التوبة: 52)

لفظ الحسنيين الوارد في الآية الكريمة مثنّى الحسنى، وهي صيغة تفضيل؛ لأنها تأنيث الأحسن. [2]

أي هل تنظرون بنا إلا أحد أمرين؛ إما الظفر والنصر، وإما الموت في سبيل الله، وكل واحدة من الخصلتين حسن. [3]

1. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير.
2. أضواء البيان، 1 /246.
3. التسهيل لعلوم التنزيل، 2/ 77.

يفسر الزمخشري المراد بقوله تعالى: {إِلا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ}، فيبين أنهما إحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسن العواقب، وهما النصر والشهادة، ومعنى:{وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ} إحدى السوأتين من العواقب؛ إمّا {أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ} كقارعة من السماء، كما نزلت على عاد وثمود، أَوْ بعذاب {بِأَيْدِينَا} بالانتصار عليهم وهزيمتهم، {فَتَرَبَّصُواْ} بنا ما ذكرنا من عواقبنا {إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ} ما هو عاقبتكم، فلا بدّ أن يلقى كلنا ما يتربصه، لا يتجاوزه.(*)

والحديث القرآني عن وعد المؤمنين بنيل إحدى الحسنيين، جاء بألفاظ مختلفة في آيات قرآنية أخرى، حيث يقول جل شأنه: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} (النساء:74)

فليست مصادفة أن يذكر القرآن الكريم هذين البدلين في تقابل لافت لكل بصير ومتدبر، وذلك في قوليه سبحانه: {إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ} و{فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ}، فتسمية البدلين المذكورين في آية النساء هي نفسها المقصودة بالحسنيين المتضمنة في آية التوبة، الشهادة الناتجة عن القتل في سبيل الله، أو الغلبة والنصر في المعركة، والطموح لنيل أحد هذين البدلين يتماشى مع عقيدة الإيمان، إذ وعد الله الشهيد بالبقاء حياً يرزق عند ربه، وتختلف مفارقته الدنيا عن مغادرة غيره من الخلق لها، فهو يبقى حياً يرزق، وهم يفارقونها بالموت، الذي تتشكل به النهاية الحتمية لكل مخلوق، فكل نفس ذائقة الموت، والله ذكر نبيه، صلى الله عليه وسلم، بحتمية الموت، فقال سبحانه: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ} (الزمر:30)، ولن تغني الاحتياطات المحكمة، والوقايات جميعها، عن منع الموت الحتمي حين تحين ساعته، ويتحقق موعده، ويوجد سببه الحقيقي، المتمثل في انتهاء الأجل، مصداقاً لقوله عز وجل: {... يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ...} (آل عمران:154)، ويقول تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ...} (النساء:78)

* الكشاف، 2/ 266، بتصرف.

ومـا دام فـراق الحيـاة الدنيـا عـلى هـذا الوجـه مـن الحتميـة، فالشـهادة خـير وأحسـن مقامـاً، فهـي ظفـر بالآخـرة، وبهـا يتحقـق اسـتمرار الحيـاة دون مـوت، مصداقـاً لقولـه عـز وجـل: {وَلاَ تَقُولُـوا لِمَـنْ يُقْتَـلُ فِي سَـبِيلِ اللّـهِ أَمْـوَاتٌ بَـلْ أَحْيَـاء وَلَكِـن لاَّ تَشْـعُرُونَ} (البقرة: 154)، ويقـول سـبحانه: {وَلاَ تَحْسَـبَنَّ الَّذِيـنَ قُتِلُـواْ فِي سَـبِيلِ اللّـهِ أَمْوَاتـاً بَـلْ أَحْيَـاء عِنـدَ رَبِّهِـمْ يُرْزَقُـونَ}(آل عمـران: 169)

وإن لـم يُقـدِّر اللـه الشـهادة للمؤمـن، وأنعـم عليـه بالأخـرى، وهـي نيـل النـصر والعـزة والتمكـين، فيكـون بذلـك قـد أنعـم عليـه بعظيـم مـن آلائـه، فالحيـاة في أجـواء ذلـك تختلـف نوعـاً وكيفـاً عـن حيـاة الاسـتكانة والـذل، مـن هنـا رغـب عنـترة في الحنظـل المقـترن بالعـز، عـن عيـش الـذل، فقـال: لا تَسـقِني مـاءَ الحَيـاةِ بِذِلَّـةٍ بَـل فَاسـقِني بِالعِـزِّ كَأسَ الحَنظَـلِ

وعبر عن الإيمان بهذه المعاني النبيلة الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود، حيث قال:

سأحمل روحي على راحتي * * * وألقي بها في مهاوي الردى

فإمّا حياة تسرّ الصديق * * * وإمّا مماتٌ يَغيظُ العدى

ونفسُ الشريف لها غايتان * * * ورود المنايا ونيلُ المنى

فالنـصر أو الشـهادة يتطلـع إلى نيـل واحـد منهمـا الحكمـاء والعقـلاء، وسـيبقى التطلـع لذلك قائمـاً، مـا بقيـت عـروق المؤمنـين تنبض بالتطلـع لإحدى الحسـنيين، إلى أن يـرث الله الأرض ومـا عليها.

بَخٍ بَخٍ:

الإيمـان بمبـدأ الحسـنيين، ترجمـه المؤمنـون بمواقـف بسـالة وتضحيـة واضحـة، فهـذا صحـابي جليـل لمـا سـمع النـداء للقيـام إلى جنـة عرضهـا السـماوات والأرض، وكانـت في يـده تمـرات، ألقاهـا أرضـاً، وقـال قولتـه الرمزيـة المشـهورة: بَـخٍ بَـخٍ، وأبى أن يعوقـه عـن نيـل هـذه الجائـزة الربانيـة أكل تمـرات، فخـلال التحضير ليـوم بـدر، قـال رسـول اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم: (قُومُـوا إلى جَنَّـةٍ عَرْضُهَـا السـماوات وَالْأَرْضُ، قـال- يقـول عُمَيْرُ بـن الْحُمَـامِ الْأَنْصَـارِيُّ: يـا رَسُـولَ اللَّـهِ، جَنَّـةٌ عَرْضُهَـا السـماوات وَالْأَرْضُ؟! قـال: نعـم، قـال: بَـخٍ بَـخٍ، فقـال رسـول اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم: مـا يَحْمِلُـكَ عـلى قَوْلِـكَ بَـخٍ بَـخٍ؟ قـال: لَا واللـه يـا رَسُـولَ اللَّـهِ، إلا رَجَـاءَةَ أَنْ أَكُـونَ مـن أَهْلِهَـا، قـال:

فَإِنَّكَ من أَهْلِهَا، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ من قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قال: لَئِنْ أنا حَيِيتُ حتى آكُلَ تَمَرَاتِي هذه إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قال: فَرَمَى بِمَا كان معه من التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حتى قُتِلَ) [1]

والتعبير عن المسارعة العملية للفوز بالآخرة، له قصصه وحوادثه الكثيرة في حياة السلف الأخيار، والخلف الأبرار، فلما نزل قوله تعالى: {لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (آل عمران:92)، سارع المؤمنون ومنهم الصحابي الجليل أبو طلحة الأنصاري، إلى البحث عن أحب ما يملكون ليس للاحتفاظ به وادّخاره، والتمتع بنعيمه، بل من أجل إنفاقه في سبيل الله، فعن أَنَسَ بن مَالِكٍ، رضي الله عنه، يقول: (كان أبو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا من نَخْلٍ، وكان أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إليه بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وكان رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ من مَاءٍ فيها طَيِّبٍ، قال أَنَسٌ: فلما أُنْزِلَتْ هذه الْآيَةُ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} قام أبو طَلْحَةَ إلى رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إلي بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ الله، قال: فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: بَخٍ، ذلك مَالٌ رَابِحٌ، ذلك مَالٌ رَابِحٌ، وقد سمعت ما قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا في الْأَقْرَبِينَ، فقال أبو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أبو طَلْحَةَ في أَقَارِبِهِ، وَبَنِي عَمِّهِ) [2]

والمؤمنون بالآخرة يبعدون عن أنفسهم خطر التردد في الاستجابة لأمر الله، لما يدعون إليه، وقد عبر السلف عن هذه العقيدة في مواقف عديدة، منها قول الْمِقْدَاد يوم بَدْرٍ: (يا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّا لَا نَقُولُ لك كما قالت بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: {فَاذْهَبْ أنت وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} وَلَكِنْ امْضِ وَنَحْنُ مَعَكَ) [3] مما أثلج صدره، صلى الله عليه وسلم، كما يذكر الراوي في تعقيبه على قول المقداد: (فَكَأَنَّهُ سُرِّيَ عن رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم) [4]

---

1. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد.
2. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب.
3. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة المائدة، باب قوله:{فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون}(المائدة: 24)
4. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة المائدة، باب قوله:{فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون}(المائدة: 24)

وكيف لا يكون من الصحابة، رضي الله عنهم، مثل هذه المواقف المشرفة المعبرة عن مكنونات إيمانهم الراسخ بدين الإسلام؟! وهم تلاميذ مدرسة النبوة، التي من مضامين منهاجها: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (التوبة:111)

سؤال حسنتي الدنيا والآخرة:

المؤمن المتطلع لإحدى الحسنيين يسأل الله أن ييسر له حظه الحسن من الدنيا والآخرة، وقد أشار الله تعالى إلى هذا التطلع المبصر في سياق الثناء على أصحابه، فقال عز وجل: {وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (البقرة:201)

يرى الرازي أن الحسنى الثانية هي الجزاء في الآخرة، وعن الحسنيين يقول: إنهما الظفر والنصرة والشهادة، وأما الحسنة في الآخرة، فهي الفوز بالثواب، والخلاص من العقاب. [1]

وفي آيات قرآنية أخرى أشير إلى حسنتي الدنيا والآخرة، في مثل قوله جل شأنه: {وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} (النحل:41)

وفي سياق الثناء الرباني على سيدنا إبراهيم، عليه السلام، والإشارة إلى فضل الله عليه، بين سبحانه أنه آتاه في الدنيا حسنة، ملحقاً بذلك مثوبة حسنة في الآخرة، أن ضمه لعباده الصالحين، فقال عز وجل: {وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (النحل:122) يعني أتى الله نبيه إبراهيم، عليه السلام، لسان الصدق، وأن الأمم جميعها متفقون عليه، وقيل: يعني المال والأولاد، وهو في الآخرة لمن الصالحين؛ أي من أهل الجنة. [2]

الحسنة المحمودة في الدنيا غالباً ما يرافق ذكرها حسنة الآخرة، لتكتمل مسرة الفائز بهما، مصداقاً لقوله عز وجل، بالخصوص: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (يونس: 64)، فلا يكتمل الهناء ببشرى الحياة الدنيا، إن لم

1. التفسير الكبير: 5/ 161.
2. التسهيل لعلوم التنزيل، 2/ 164.

يتبع ببشرى المثوبة في الآخرة، وإلا فالحياة الدنيا بلغت فيها المتع من الدرجات ما بلغت، تبقى قليلة لزوالها، وانقضاء شأنها، ولو بعد حين، وخطر زوالها الحتمي ينغص على المتشغف لها بعيداً عن التطلع لنعيم الآخرة، والله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} (التوبة:38)

ويقرر سبحانه أن الحياة الدنيا إذا ما قورنت بالآخرة، لا تتعدى كونها لهواً، أما الآخرة، فهي خير وأبقى، يقول عز وجل: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} (الأنعام:32) وما أجمل ما خُتمت به هذه الآية الكريمة من تعقيب مستثير {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} فالعاقل يختار لنفسه الدرب المنجي، انطلاقاً من يقينه وإدراكه بوزن الحياة الدنيا بالنسبة إلى الآخرة، فلا يوجد عاقل يختار الدنيا على حساب الآخرة، وإنما يُخدع الجاهل ببريق الدنيا ومظاهر زينتها، فيفضلها ويجهد نفسه في طلبها، ويغفل عن العمل الجاد، والمطلوب للفوز بالحياة الباقية الأزلية.

تبكيت قاصدي الدنيا فحسب:

الناس يستوعبون وصف النصر أو الغلبة بالحسنى، لكن وصف القتل الذي يعني المغادرة الجسدية للمشهد في الحياة الدنيوية بالحسنى، يصعب على أذهان غير المتشرِّبين للمعاني الإيمانية قبوله؛ لأن مطاف الحياة لديهم ينتهي بالموت، وبالتالي فإنهم يحرصون على الحياة حرصاً جماً، وقد وصف الله حالهم هذا في مواضع قرآنية عدة، منها ما جاء في قوله تعالى: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} (البقرة:96)، ونعت الله أمثال هؤلاء بالغافلين، لتعلقهم بالحياة الدنيا، واستبعادهم الآخرة، فقال عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} (يونس:7)

وقد فضح الله مكنون الذين هادوا لما دعاهم لتمني الموت، إن كانوا صادقين في زعمهم أنهم أولياء لله، فقال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (الجمعة:6)، حيث أكد سبحانه سلفاً في ضوء علمه عز وجل بحالهم بأنهم لن يستجيبوا لطلب تمني الموت، فقال تعالى: {وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ...} (الجمعة:7)

وعقب سبحانهَ على إخباره عن هذه الحقيقة المتعلقة بحالهم، بقوله: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ* قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (الجمعة:7 - 8)، فالله عليم بالظالمين، ومن أعظم الذنب الخلل المحدث في العقيدة الإيمانية، حيث يقول سبحانه على لسان عبده لقمان الحكيم: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (لقمان:13)، هذا التعقيب على منحاهم في التقاعس عن تمني الموت بما يكذب زعمهم أنهم أولياء لله من دون الناس، فلو كانوا يؤمنون بذلك حقيقة، لسارعوا لتمنيه حباً في لقائه سبحانه، ويضاف إلى هذا التعقيب التأكيد على حقيقة إيمانية، خاصة بحتمية الموت، فهو واقع بالخلق جميعهم، تحت مظلة (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)(الرعد: 38).

ومن التبكيت القرآني لقاصدي الدنيا كغاية مرجوة دون الآخرة، بيان أن هذه الفئة من الناس ليس لها في الآخرة نصيب، أو حظ من الخيرات، فقال تعالى: {...فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ} (البقرة:200) وأي حرمان أفظع من أن يحرم المرء نعيم الآخرة؟! التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مما أعده الله لعباده المتقين، الذين سألوه أن يؤتيهم حسنة في الدنيا، وفي الآخرة حسنة، وأن يقيهم عذاب النار، وهو القائل سبحانه: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ} (آل عمران:185)

معززات التطلع لنيل إحدى الحسنيين:

المقام الكريم الذي أُعد للشهيد عند ربه، في ظل النعيم الخالد المقيم، في جنة عرضها السماوات والأرض، يعدُّ أحد أبرز معززات رسوخ عقيدة التطلع للحسنيين في قلب المؤمن، مع اقتران ذلك بالتصور الواضح لمنزلة الدنيا من الآخرة، وفناء الأولى وبقاء الثانية، يضاف إلى ذلك مكانة الشهيد الرفيعة عند ملك السماوات والأرض، وأنه يبقى في حياة دون موت، بخلاف غيره من الخلق، ولمقام الشهيد ومنزلته عند الله، تمنى خير البرية، صلى الله عليه وسلم - على ما له من حظوة - نيل الشهادة في سبيل الله، فعن أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بيده، وَدِدْتُ أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، فَكَانَ أبو هُرَيْرَةَ يَقُولُهُنَّ ثَلَاثًا أَشْهَدُ بِاللَّهِ) (*)

ومن معززات التطلع لإحدى الحسنيين، التي إحداهما الظفر والنصر، الوعود الربانية الصادقة للمؤمنين بالنصر والتمكين، فقد وعدهم بالنصر المبين، فقال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد:7)، وقال تعالى: {إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (آل عمران: 160)

ومن هذه المعززات وعد المؤمنين بالاستخلاف والتمكين لدينهم، فقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (النور:55)

وحقق الله لنبيه، صلى الله عليه وسلم، العودة إلى وطنه فاتحاً، وفاء لوعد وعده إياه، حيث قال تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (القصص:85)

---

* صحيح البخاري، كتاب التمني، باب ما جاء في التمني، ومن تمنى الشهادة.

والمؤمن المهاجر عن وطنه قصراً وظلماً، وهو يتطلع لأن تتحقق له عودة، يوقن بأن هذا التطلع له ما يعززه من واقع الأمم وتاريخها، وبالأخص عند مطالعة مجريات أحداث السيرة النبوية المطهرة، فما لبث النبي، صلى الله عليه وسلم، بعد أن هاجر، وخلال بضع سنين، عاد فاتحاً لمكة المكرمة، يهدم أصنامها، ويقيم فيها الحق والعدل، على منهاج ربه، منطلقاً من عقيدة التوحيد والإيمان بالبعث والنشور، وبقدرة الله على إحداث التغيير المنشود في واقع المستضعفين لصالحهم، وفي واقع الظالمين بمحقهم، واستئصال شأفتهم.

النصر والعزة والتمكين لأهل فلسطين:

أهل فلسطين يعانون من تبعات الاحتلال الغاشم لأرضهم ومقدساتهم، وما يتبع ذلك من ويلات وتداعيات نالت من دمائهم، وحرياتهم، واقتصادهم، لكنه لم ولن ينال بإذن الله تعالى من إيمانهم بحقهم، وحتمية انتصارهم، حتى وهم مكلومون، وجراحهم تنزف دماً، لم يسقطوا الراية، وستبقى هاماتهم تناطح السحاب، فهم ينهضون بعد الجراح أقوى مما كانوا قبلها، وصحابة الرسول، صلى الله عليه وسلم، أثنى الله على عزيمتهم وثباتهم، إذ وثبوا ناهضين للعلا على الرغم من جراحهم، فقال عز وجل فيهم: {الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (آل عمران:172).

والله ينهى المؤمنين عن الاستسلام للجراح والحزن والوهن، فيقول تعالى: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (آل عمران:139)، ويتبع الله هذا النهي بلفت الأنظار إلى سنة ثابتة في الخلق، أن الأيام دول، لا تدوم أحوالها لهم، ولا لغيرهم، فمن سره يوم ساءه آخر، ويلفت القرآن الكريم أنظار المتدبرين في آياته من المخاطبين بها من المؤمنين، إلى حتمية انتصارهم، وتغير أحوالهم، من الاستضعاف إلى القوة والتمكين، فيقول عز وجل: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (آل عمران: 140)

لكن الفرق شاسع بين أصناف الناس، من ناحية منهج الذين يرجون من الله مثوبة وأجراً، حتى وهم مثخنون بالجراح، وبين البائسين اليائسين من رحمة الله، وحول هذه المعاني يقول سبحانه: {وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً} (النساء:104)

ومن معززات الإيمان بحتمية الوجود والبقاء، رغم تفاقم الكيد، وحبْك المؤامرات، وترسانة الأعداء، بشرى الرسول، صلى الله عليه وسلم، للمسلمين بالطائفة الناجية، التي ستبقى ظاهرة رغم الصعاب الجامحة، فعن الْمُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[1]

وفي رواية عن ثَوْبَانَ، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ من خَذَلَهُمْ، حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)[2]

وعماد منهج الطائفة الناجية في المحافظة على استمرارية الوجود والبقاء، يقوم على الصبر والمصابرة والرباط والتقوى، عملاً بأمر الله لهم، حيث يقول عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لعلكم تفلحون} (آل عمران: 200).

نرجوه سبحانه أن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن يعجل لنا بالفتح المبين، والتحرر مما نحن فيه من قيود الظالمين وأسرهم، وأن يحرر أسرانا، ويتقبل شهداءنا في عليين، وأن يجعل الحسنيين أملنا ومحط أنظارنا واهتمامنا، ونسأله سبحانه سؤال خير السلف: {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} (آل عمران:8).

---

1. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً...
2. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم).

نظـرة في معنـى الهجـرة وأهدافهـا وفقـه أحكامهـا

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله
رئيس التحرير

الهجـرة تعـني في أبسـط معانيهـا اللغويـة الـترك، وهـي مشـتقة مـن الفعـل الثـلاثي هجـر، وتعـني الانتقـال مـن مـأوى إلى آخـر، سـواء عـلى نطـاق فـردي، أم جماعـي، ويطلـق مصطلـح المهاجـر عـلى مـن يقـوم بفعـل الهجـرة، بغـض النظـر عـن أسـبابه لذلـك وغاياتـه، ومـن أسـباب الهجـرة الهـروب مـن أوضـاع اقتصاديـة أو أمنيـة أو معيشـية معينـة، إلى أمكنـة أخـرى، يطمـح أن تكـون أفضـل مـن البيئـات المهاجـر منهـا.

ودينيـاً كانـت الهجـرة بالديـن طلبـاً لنصرتـه، والفـرار مـن أعدائـه، وقـد مارسـها أنبيـاء وصالحـون، والهجـرة بالديـن مـن بلـد إلى آخـر، في العهـد الإسـلامي، تمثلـت في أبهـى صورهـا في هجـرة مسـلمي مكـة المكرمـة إلى المدينـة المنـورة، والـتي توجـت بهجـرة الرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، وصاحبـه أبي بكـر الصديـق، رضي اللـه عنـه، ولعلاقـة الهجـرة بالدعـوة إلى الإسـلام، وانتصـار الديـن، وعـزة المسـلمين، فقـد نزلـت آيـات قرآنيـة كريمـة تحـدد أحكامـاً واضحـة لهـا، ولبعـض متعلقاتهـا وتداعياتهـا، وبهـدف الاسـتذكار واسـتنباط العـبر والأحـكام مـن أدلـة الهجـرة وتداعياتهـا، سـنحاول إلقـاء نظـرة متدبـرة في تلـك الأدلـة، بمناسـبة ذكـرى الهجـرة النبويـة الشريفـة، وفي ظـل حـوادث الهجـرة الحديثـة القسريـة منهـا والاختياريـة، ويتخلـل هـذه النظـرة محاولـة التأمـل في سـت مسـائل ذات صلـة، بـدءاً مـن التعريـج عـلى حكـم الهجـرة، ثـم محاولـة الإجابـة عـن سـؤال: مـتى يكـون تـارك الهجـرة ظالمـاً لنفسـه؟ وأهميـة باعـث الهجـرة لمثوبتهـا، والوقـوف عنـد الهجـرة كأمـارة وعلامـة

فارقة، وبيان الوجه المشروع لعلاقة المسلمين بالظالمين المتسببين بهجرتهم عن أوطانهم، والصورة البهية للعلاقة بين المهاجرين والأنصار كأنموذج جدير بالمحاكاة، في ضوء الأدلة النظرية والواقع التطبيقي العملي لها.

حكم الهجرة:

الهجرة أنواع، منها الاضطراري، ومنها الاختياري، ومنها المستمر الدائم، ومنها المنقطع، فالهجرة في بداية العهد بالإسلام، كانت بسبب ظروف قهرية أحاطت بالرسول، صلى الله عليه وسلم، والثلة المؤمنة الأولى، وقد وصلت لأن تكون فرضاً واجباً، ولم تكن في مرحلة الفرض اختيارية أو مزاجية؛ لأنها في تلك المرحلة كانت متطلباً لانتصار الإسلام، وحماية وجود المسلمين، وبعد العودة إلى مكة المكرمة وانتصار الإسلام المتوج بالفتح الأعظم، أوقف العمل بفرض الهجرة، ففي الحديث الصحيح، عن ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا)[1]

وعن مُجَاشِعِ بن مَسْعُودٍ، قال: (جَاءَ مُجَاشِعٌ بِأَخِيهِ مُجَالِدِ بْنِ مَسْعُودٍ، إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هَذَا مُجَالِدٌ يُبَايِعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ، فَقَالَ: لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَكِنْ أُبَايِعُهُ عَلَى الإِسْلاَمِ)[2]

وعن عَطَاءٍ يقول: ذَهَبْتُ مع عُبَيْدِ بن عُمَيْرٍ إلى عَائِشَةَ، رضي الله عنها، وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ بِثَبِيرٍ[3]، فقالت لنا: (انْقَطَعَتْ الْهِجْرَةُ مُنْذُ فَتَحَ الله على نَبِيِّهِ، صلى الله عليه وسلم مَكَّةَ)[4]

وعن عَطَاءِ بن أبي رَبَاحٍ، قال: زُرْتُ عَائِشَةَ مع عُبَيْدِ بن عُمَيْرٍ، فَسَأَلَهَا عن الْهِجْرَةِ، فقالت: (لَا هِجْرَةَ الْيَوْمَ، كان الْمُؤْمِنُ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إلى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ، صلى الله عليه وسلم، مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عليه، فَأَمَّا الْيَوْمَ؛ فَقَدْ أَظْهَرَ الله الْإِسْلَامَ، فَالْمُؤْمِنُ يَعْبُدُ رَبَّهُ حَيْثُ شَاءَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ)[5]

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير.
2. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا هجرة بعد الفتح.
3. قوله: (ثبير) بفتح الثاء وكسر الباء، وسكون الياء، وفي آخره راء، وهو جبل عظيم بالمزدلفة، على يسار الذاهب منها إلى منى، وعلى يمين الذاهب من منى إلى عرفات. (عمدة القاري: 9/ 262)
4. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا هجرة بعد الفتح.
5. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب منه.

وفي رواية عنه أن عَائِشَةَ، رضي الله عنها، قالت: (انْقَطَعَتْ الْهِجْرَةُ مُنْذُ فَتَحَ الله على نَبِيِّهِ، صلى الله عليه وسلم مَكَّةَ) [1]

جاء في زاد المسير، أن القاضي أبا يعلى، قال: كانت الهجرة فرضاً إلى أن فتحت مكة.

وقال الحسن: فرض الهجرة باق، واعلم أن الناس في الهجرة على ثلاثة أضرب:

1) من تجب عليه، وهو الذي لا يقدر على إظهار الإسلام في دار الحرب، خوفاً على نفسه، وهو قادر على الهجرة، فتجب عليه، لقوله تعالى: {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ}(النساء: 97)

2) والثاني، من لا تجب عليه، بل تستحب له، وهو من كان قادراً على إظهار دينه في دار الحرب.

3) والثالث، من لا تستحب له، وهو الضعيف الذي لا يقدر على إظهار دينه، ولا على الحركة، كالشيخ الفاني والزَمِن، فلم تستحب له؛ للحوق المشقة. [2]

ويشبه ما ذهب إليه الحسن قول ابن حجر في الفتح: فلا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون، أما قبل فتح البلد، فمن به من المسلمين أحد ثلاثة:

الأول: قادر على الهجرة منها، لا يمكنه إظهار دينه، ولا أداء واجباته، فالهجرة منه واجبة.

الثاني: قادر، لكنه يمكنه إظهار دينه، وأداء واجباته، فمستحبة لتكثير المسلمين بها، ومعونتهم وجهاد الكفار، والأمن من غدرهم، والراحة من رؤية المنكر بينهم.

الثالث: عاجز بعذر من أسر أو مرض أو غيره، فتجوز له الإقامة، فإن حمل على نفسه، وتكلف الخروج منها أجر. [3]

فبعض العلماء يرون أن الهجرة انقطعت بفتح مكة؛ بعد أن صارت مكة بلد الإسلام، وقال الحسن: الهجرة غير منقطعة أبداً، وأما قوله عليه السلام: (لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ) فالمراد الهجرة المخصوصة؛ فإنها انقطعت بالفتح، وبقوة الإسلام، أما لو اتفق في بعض الأزمان كون المؤمنين في بلد، وفي عددهم قلة، ويحصل للكفار بسبب كونهم معهم شوكة، وإن هاجر المسلمون من تلك البلدة، وانتقلوا إلى بلدة أخرى، ضعفت شوكة الكفار، فهاهنا تلزمهم الهجرة، على ما قاله الحسن؛ لأنه قد حصل فيهم مثل العلة في الهجرة من مكة إلى المدينة. [4]

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا هجرة بعد الفتح.
2. زاد المسير: 2/ 156
3. فتح الباري: 6/ 190
4. التفسير الكبير: 15/ 169.

مما سبق يظهر أن حكم الهجرة، يرتبط بالظرف الديني المحيط بالمهاجر، فهو حكم مرن، يقتضي اللزوم والوجوب أحياناً، كما يقتضي الكف عنها في أحيان أخرى، وذلك كله مرتبط بحجم المؤثرات المحيطة بالمسلم في البيئة التي يقيم فيها، فإن كانت بيئة قهرية يضيق عليه فيها القيام بواجباته الدينية، أو يضطهد بسبب ذلك، فالهجرة في مثل هذه الحالة تُطْلَب إلى بلد أكثر أماناً أو حرية، ولا تُطْلَب إن لم تبلغ به الشدائد، والمضايقات حد الخطر الداهم.

متى يكون تارك الهجرة ظالماً لنفسه؟

في ضوء حكم الهجرة المبين آنفاً، يظهر أن المتقاعس عن الهجرة في البيئة القهرية التي يضطهد فيها المرء بسبب اعتناقه الإسلام، أو العمل بأحكامه، فإن بقاءه مقيماً فيها يجلب إليه المهانة، والتنازل عن واجباته الدينية، وقد يلحق به الأذى والظلم في ظل حالة الاستضعاف التي يعايشها، من هنا كان الوصف الرباني للمستسلمين لتبعات الاستضعاف بأنهم ظالمون لأنفسهم، فقال عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً} (النساء:97)

المراد بـ{ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ}تقبض أرواحهم، وحكي عن الحسن، أن المعنى تحشرهم إلى النار، و{ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} نصب على الحال، أي ظالميها بترك الهجرة، وقول الملائكة: {فِيمَ كُنتُمْ} تقرير وتوبيخ، وقول هؤلاء: {كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ} اعتذار غير صحيح؛ إذ كانوا يستطيعون الحيل، ويهتدون السبيل، ثم وقفتهم الملائكة على ذنبهم، بقولهم: {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فيها} والأرض في قول هؤلاء هي أرض مكة خاصة، وأرض الله هي الأرض بالإطلاق. والمراد فتهاجروا فيها إلى موضع الأمن، وهذه المقالة إنما هي بعد توفي الملائكة لأرواح هؤلاء، وهي دالة على أنهم ماتوا مسلمين، وإلا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شيئاً من هذا، وإنما أضرب عن ذكرهم في الصحابة لشدة ما واقعوه، ولعدم تعين أحد منهم بالإيمان، ولاحتمال ردته، وتوعدهم الله تعالى بأن مأواهم جهنم. (*)

* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 2/ 100.

واستثنى الله جل في علاه من هذا التأنيب، ومن وصف ظلم النفس، العاجزين حقيقة عن مباشرة الهجرة حال الاستضعاف، فقال عز وجل: {إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً} (النساء:98)، قال ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما: (كنت أنا وَأُمِّي من الْمُسْتَضْعَفِينَ؛ أنا من الْوِلْدَانِ، وَأُمِّي من النِّسَاءِ)[1]

فزمنة الرجال، وضعفة النساء، والولدان، مستثنون من الحكم السابق، والحيلة لفظ عام لأسباب أنواع التخلص، والسبيل سبيل المدينة، فيما ذكر مجاهد والسدي وغيرهما، والصواب أنه عام في جميع السبل.[2]

أهمية باعث الهجرة لمثوبتها:

الأمور بمقاصدها وغاياتها، والإسلام عني أيما عناية ببواعث السلوك، ومنه الهجرة لأسباب دينية، فينبغي أن يُقصد بها وجه الله تعالى، وأن تكون في سبيله سبحانه، وإلا كانت هباء منثوراً.

ضرب بالهجرة مثلاً تطبيقاً لمقاصد الأفعال وبواعثها، فعن عُمَر، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا، أو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه)[3]

فالهجرة للدين، تختلف صورة وحكماً وأهدافاً عن غيرها، فالذي يهاجر بهدف الانتصار للدين، ليس كمن دفعته الظروف أو المطامع لهجر بلده ووطنه، فبعض المهاجرين يختارون سبيل الهجرة إلى بلاد أخرى هرباً من أحوال معيشية قاسية، ومن تلك الأحوال الضغوط الممارسة من قبل الجهات المتنفذة في البلد الذي يهاجر منه، فهناك قهر سياسي ومنع حريات، وهناك مخاطر قد تصل إلى حد تهديد حياة الناس، أو تعرضهم في بعضها لضغوط اقتصادية من الضرائب والأتاوات، وتقييد حركة العبور والنقل، وبعض الناس تكون لهم رغبات في ألوان لعيشهم وعيالهم، فيختارون ولوج درب الهجرة لتحقيق مآربهم وتطلعاتهم.

1. صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه.
2. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : 2/ 100.
3. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى.

والفرق من حيث المثوبة والرعاية الربانية، واضح بين من يهاجر تحت ضغط الظروف المعيشية، أو لأسباب حياتية وخاصة، وبين الذي يهاجر تنفيذاً لحكم شرعي، أو بهدف الانتصار للدين، وفق ما بينه القرآن الكريم، وخاتم النبيين رسولنا محمد، صلى الله عليه وسلم.

الهجرة أمارة وعلامة فارقة:

لأهمية الهجرة ودورها البارز حين تقتضيها الأحوال والظروف، في الانتصار للدين، وحشد الطاقات على هذا الدرب، ولتحقيق هذه الغاية السامية، فقد جعلها الله علامة فارقة، بين فسطاط العاملين للدين، المستعدين للتضحية في سبيله، وتقديم أنفس المتاح لديهم في سبيل الله، وبين فريق المتخلفين عن الواجب، فقال عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (الأنفال: 72)

جاء في تفسير السعدي، أن هذا عقد موالاة ومحبة، عقدها الله بين المهاجرين الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله لأجل الجهاد في سبيل الله، وبين الأنصار الذين آووا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض؛ لكمال إيمانهم، وتمام اتصال بعضهم ببعض. {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ}، فإنهم قطعوا ولايتكم بانفصالهم عنكم في وقت شدة الحاجة إلى الرجال، فلما لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين شيء، لكنهم {إِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ} أي لأجل قتال من قاتلهم، {فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} والقتال معهم، وأما من قاتلوهم لغير ذلك من المقاصد، فليس عليكم نصرهم. (*)

*تفسير السعدي:1/ 327.

فالله يشترط الهجرة لصحة الموالاة بين فئات المسلمين وجماعاتهم وأفرادهم، وبهذا الصدد يقول جل شأنه: {وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً} (النساء:89)، مع التنبيه إلى أن هذا الاشتراط يطلب حين تكون الهجرة واجبة، ومطلوبة شرعاً.

علاقة المسلمين بالظالمين المتسببين بهجرتهم عن أوطانهم:

بين الله في القرآن الكريم الوجه المشروع لعلاقة المسلمين بالظالمين المتسببين بهجرتهم عن أوطانهم، فقال عز وجل: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الممتحنة:8)

فمهجرو المسلمين أو بعضهم من ديارهم أعداء للمسلمين كافة، يجب أن يكون لهم موقف واضح من مقاطعتهم، لا تطبيع العلاقات معهم بأي وجه، فالله جعل النقاء من جرم التهجير للمسلمين سبباً لاقتضاء تشريع التعامل السلمي مع غير المسلمين، أما من تلبسوا بهذه الجريمة النكراء، فتحرم موالاتهم، ومن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، حسب قوله عز وجل: {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (الممتحنة:9)

فأمر التعامل مع غير المسلمين يرتكز حكمه على أمور، من أبرزها وأجلها، براءة الذمة من خطيئة تهجير المسلمين من ديارهم، أو تقديم المساندة، والعون لتحقيق هذا العدوان، وفي حال ثبت التلبس بهذه الخطيئة، فالحكم الرباني واضح بصريح اللفظ، وجلاء المعنى، في هاتين الآيتين الكريمتين من سورة الممتحنة وغيرهما.

العلاقة بين المهاجرين والأنصار أنموذج يحتذى:

سطر الإسلام موقفاً عظيماً في تاريخ الإنسانية، بنجاحه في الإبقاء على وشيجة القرابة، والنسب بين الناس، كعلاقة فطرية وطبيعية، تترتب عليها صلات وأحكام خاصة في العلاقات والحقوق والواجبات، وفي الوقت نفسه، وثق بين أتباعه الرابطة الدينية، التي انبثقت عنها إخوة تختلف عن إخوة النسب في بعض الأحكام، وفاقت وشيجة الدم في متانة الارتباط والإنجاز، على صعيد حمل دعوة الإسلام والذود عنها، من هنا كان الوصف الرباني لهذه العلاقة بأنها أخوة إيمانية، فقال عز وجل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الحجرات:10)، وكان من أوائل الأعمال التي تصدرت العمل الميداني للرسول، صلى الله عليه وسلم، عقد ميثاق الأخوة بين المهاجرين والأنصار، لدرجة أنه تباهى كمهاجر بعلاقته بالأنصار وودِّه لهم، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أو قال أبو الْقَاسِمِ، صلى الله عليه وسلم: (لو أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أو شِعْبًا، لَسَلَكْتُ في وَادِي الْأَنْصَارِ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً من الْأَنْصَارِ، فقال أبو هُرَيْرَةَ: ما ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ - أو كَلِمَةً أُخْرَى -) (*)

الصورة البهية للعلاقة بين المهاجرين والأنصار تشكل أنموذجاً سلوكياً إيمانياً جديراً بالمحاكاة والاحتذاء، وعوامل ذلك مثبتة في الأدلة الشرعية النظرية، والواقع التطبيقي العملي لهذه العلاقة، منذ البدء بها، وفيما تلا ذلك من مواقف وتعاضد، وتعاون على نصر الإسلام والذود عنه، على الرغم مما تخلل مسيرة هذه العلاقة الكريمة من بعض الاستثناءات، التي غالباً ما كان يشعل نارها، ويؤجج الشرخ فيها المنافقون، الذين كانوا يتصيدون في المياه العكرة، ويثيرون الفتن، وينشرون الأراجيف المؤججة للتنازع والتناحر، وقد حالت يقظة النبي، صلى الله عليه وسلم، وحنكة سياسته، ونجاعة تدبيره، دون تحقيق أولئك مآربهم في إشعال

* صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار»

نار الفرقة بين المهاجرين والأنصار، ومن شواهد ذلك رده عليه الصلاة والسلام، على دعاة الفتنة، الداعين للحمية والفئوية، كما جاء في الحديث الصحيح، عن جَابِرَ بن عبد اللَّهِ، رضي الله عنهما، قال: (كنا في غَزَاةٍ، - قال سُفْيَانُ مَرَّةً في جَيْشٍ- فَكَسَعَ رَجُلٌ من الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا من الْأَنْصَارِ، فقال الْأَنْصَارِيُّ: يا لَلْأَنْصَارِ، وقال الْمُهَاجِرِيُّ: يا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذاك رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فقال: ما بَالُ دَعْوَى جاهلية؟ قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ من الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا من الْأَنْصَارِ، فقال: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عبد اللَّهِ بن أُبَيٍّ، فقال: فَعَلُوهَا، أَمَا والله لَئِنْ رَجَعْنَا إلى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ منها الْأَذَلَّ، فَبَلَغَ النبي، صلى الله عليه وسلم، فَقَامَ عُمَرُ، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هذا الْمُنَافِقِ، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ الناس أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ. وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ من الْمُهَاجِرِينَ حين قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ) (*)

فالعلاقة بين المسلمين في كل زمان ومكان، وفي أحوالهم جميعها، ينبغي أن تبنى على مبادئ الدين وأحكامه وقيمه النبيلة، لتؤتي ثمارها المرجوة في المنعة والقوة، والقدرة على مواجهة الخطوب، وتجاوز التحديات والمصاعب، وبغير ذلك الفشل، وذهاب الريح، مصداقاً لقوله عز وجل: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (الأنفال:46)

فهذا ما تيسر من نظر مجمل في معنى الهجرة وأهدافها وفقهها، عسى أن يفيد التدبر فيها والتذكير، في تصحيح ما انحرف من المفاهيم، وزاغ من المواقف، فالذكرى تنفع المؤمنين، أما من كان على قلبه ران، وعلى بصره غشاوة، فالله يهديه ليبصر الحقيقة بنور الشرع، وهُدى الله.

* صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار»

الهجرة النبوية
رحلة مع الله تعالى

الشيخ عمار توفيق بدوي
مفتي محافظة طولكرم

اشتملت الهجرة النبوية على مجموعة من الأحداث التي وقف العقل يستبصرها، وكتبت اليراعة المفكرة عجباً من تحليل أحداثها، فيها فَتحت خزائنُ المعية الإلهية أبوابَها للمتدبرين في أمرٍ جلَّ شأنُه، وعظمت منزلتُه؛ هو شأن العقيدة الإيمانية الراسخة في قلوب المؤمنين المهاجرين في قيظ الصحراء، وعتمة الليل البهيم الذي تدلّتْ مصابيحُ السماء تضيء ظلمته.

والهجرة النبوية في جليل أحداثها، ودولاب حركتها، يرى المتبصِّرُ فيها أنها سلسلة من الجواهر في عِقد واحد، هو عقد المعية مع الله سبحانه وتعالى. فما كان لهذه النفوس المهاجرة أن تحتمل بطشَ الكافر لولا معية الله، فعينُ الله ترعاهم، وحفظ الله طوقٌ مضروب عليهم؛ يرد الكيد الطاغوتي، والمكر الشيطاني لكلِ عُتُلٍّ جواظٍ مستكبر، نفخ الشيطان في رأسه نفخة الكِبرِ الزائفة، قال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}(الأنفال:30).

ونستطيع أن نمضي مع ركب الهجرة مراقبين تلك المعية التي تارة تضربُ فسطاطَها على أصحابها، وأخرى تنسكبُ طمأنينةً في قلوب المهاجرين، فتهدأ نفوسٌ كاد الخوف يمزّق قلوبها. ومرة تحوِّل الخطوبَ المدلهمة، والرزايا القاتمة إلى سخرية تهزأ منها النفوس التي عاشت مع المعية الإلهية، ورقدتْ بجوار تلك المعية محفوفة بحفظ الله سبحانه وتعالى.

ولئن كانت الهجرة زاخرة بالأحداث العظام، والنوازل الجسام، فلا غرو إن أبحرَ القلمُ في بعض أحداثها وحوادثها.

لقاء النبي، صلى الله عليه وسلم، أبا بكر الصديق في نحر الظهيرة مُلثّماً:

استنفرت قريشٌ رجالها، وشبابها في حملة رهيبة تعبوية، تستهدف القبض على رسول الرحمة المهداة محمد، صلى الله عليه وسلم، وجلبت خطةُ إبليس اللعين إشراكَ القبائل العربية في دم النبي، صلى الله عليه وسلم، والأحداث تطوي بعضَها في سرعة فائقة، وقد اقتربت ساعة الصفر، وهذه المعلومة الخطيرة، لا سبيل أن يحملها مرسال، أو أن توضع في يد -مهما كانت أمينة- فهي أثقل من الجبال طولاً وعرضاً، ولا حلّ إلا أن يتخذ النبي، صلى الله عليه وسلم، الأهوال مركباً، يغامر بين الأزقة المكية التي اتكأ على كلّ منعطف فيها فارسٌ عربيّ تعطَّش نصلُه للدم، فكان القرار الحاسم أن يخرج النبيُّ محمدٌ، صلى الله عليه وسلم، بنفسه الشجاع الأبيّ، والبطلُ المعدود في قومه؛ ليبلّغ أبا بكر الصديق قرار الهجرة، فدقَّ بابه في وقت الظهيرة، ذي الشمس الحارقة، ومعيةُ الله تعالى تمد بساطَها عليه رحمة وأمناً، واضعاً اللثام على وجهه الكريم، يتخفى به عن عيون قريش وجواسيسهم في مكة المكرمة.

فعن عروة، رضي الله عنه، قال: (قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ - بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِالثَّمَنِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ

الجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ"[1].

شِعابُ مكة، وحواريها، تعيش حالة استنفار أمنيّ قرشيّ للقبض على النبيّ الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وهو في نحر الظهيرة يركبُ الأهوال بين أولئك العتاة، ليصل في نهاية المطاف بيت الصديق، رضي الله عنه، ولم تخدشْ نصالُ السيوف مغرزاً في الجسد الشريف؛ إنها معية الله تعالى، فمن كان مع الله، كان الله معه.

واختيار الصديق رفيقاً للنبي، صلى الله عليه وسلم، هو قرار رباني، عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ ،صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَنْ يُهَاجِرُ مَعِي؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق)[2].

معيةُ الله تعالى في شق الحصار الدموي على بيت الرسول، صلى الله عليه وسلم:

اتفق الكفار على كلمة سوء واحدة، وهي أن تقطر سيوفهم بالدم النبويّ الطاهر، فاختاروا أصلب مقاتليهم، وأشدهم بأساً؛ ليكون لسيوفهم حظٌّ من الجسد الشريف، اجتمع النفر الجهول الظلوم، "وفيهم أبو جهل، فقال وهو على بابه: إنّ محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان لكم فيه ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها! وخرج عليهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: نعم، أنا الذي أقول ذلك، أنت أحدهم. وأخذ الله على أبصارهم

1. صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ.
2. المستدرك للحاكم، وقال:هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَالْمَتْنِ،وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، 3/ 6.

عنه فلا يرونه، وجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم، وهو يتلو هؤلاء الآيات: {يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} إلى قوله تعالى: {وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ}(يس: 1 - 3 و9) . حتى فرغ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً. قال: خيبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفلا ترون ما بكم ؟! فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب[*].

معية الله عز وجل بنصر نبيه ورعايته:

ردّت السيوف إلى أغمادها، وألقت غشاوةً هي سدٌّ حاجب للرؤية، فأين هم الأشاوس القتلة، وأين البأس المرصود، والحقد الممدود في تلك النفوس، وأين الجاهزية للانقضاض على بطل الحق، وفارس الحقيقة، ومشكاة النبوة، صلى الله عليه وسلم، فمكر الليل والنهار تلاشى بحفنة تراب واحدة، حاطتها معية الله سبحانه وتعالى.

معية الله تعالى تحبط أطماع سراقة بن مالك بالدم والمال:

سراقةُ بن مالك، فارس عربيّ صنديد؛ غرّته قوته، ولعبت عروض قريش وإغراءاتها برأسه، وكل عبدٍ للمال تتفاعل في نفسه نوازع الشرّ بالضّرّ والأذى، في سبيل حيازة المال الغرور.

وتحدثنا كتب السيرة عن تلك الحادثة، قال سراقة: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، جَعَلَتْ قُرَيْش فِيهِ مائَة نَاقَةٍ لِمَنْ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي نَادِي قَوْمِي، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَّا، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: وَاَللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَكْبَهُ ثَلَاثَةً مَرُّوا عَلَيَّ آنِفًا، إِنِّي لَأَرَاهُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ: فَأَوْمَأْتُ إِلَيْهِ بِعَيْنِي: أَنْ اُسْكُتْ، ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّمَا هُمْ بَنُو فُلَانٍ، يَبْتَغُونَ ضَالَّةً لَهُمْ، قَالَ: لَعَلَّهُ، ثُمَّ سَكَتَ. قَالَ: ثُمَّ مَكَثْتُ

* سيرة ابن هشام: 483/1، وحسنه إبراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية ص:221

قَلِيلًا، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ بَيْتِي، ثُمَّ أَمَرْتُ بِفَرَسِي، فَقُيِّدَ لِي إِلَى بَطْنِ الْوَادِي، وَأَمَرْتُ بِسِلَاحِي، فَأُخْرِجَ لِي مِنْ دُبُرِ حُجْرَتِي، ثُمَّ أَخَذْتُ قِدَاحِي الَّتِي أَسْتَقْسِمُ بِهَا، ثُمَّ انْطَلَقْتُ، فَلَبِسْتُ لَأْمَتِي، ثُمَّ أَخَرَجْتُ قِدَاحِي، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا، فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهُ «لَا يَضُرُّهُ». قَالَ: وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرُدَّهُ عَلَى قُرَيْشٍ، فآخذ الْمِائَةَ النَّاقَةِ. قَالَ: فَرَكِبْتُ عَلَى أَثَرِهِ، فَبَيْنَمَا فَرَسِي يَشْتَدُّ بِي عَثَرَ بِي، فَسَقَطْتُ عَنْهُ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: ثُمَّ أَخَرَجْتُ قِدَاحِي فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا، فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهُ «لَا يَضُرُّهُ» . قَالَ: فَأَبَيْتُ إِلَّا أَنْ أَتَّبِعَهُ. قَالَ: فَرَكِبْتُ فِي أَثَرِهِ، فَبَيْنَا فَرَسِي يَشْتَدُّ بِي، عَثَرَ بِي، فَسَقَطْتُ عَنْهُ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟، قَالَ: ثُمَّ أَخَرَجْتُ قِدَاحِي فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهُ «لَا يَضُرُّهُ» ، قَالَ: فَأَبَيْتُ إِلَّا أَنْ أَتَّبِعَهُ، فَرَكِبْتُ فِي أَثَرِهِ.

فَلَمَّا بَدَا لِي الْقَوْمُ وَرَأَيْتهمْ، عَثَرَ بِي فَرَسِي، فَذَهَبَتْ يَدَاهُ فِي الْأَرْضِ، وَسَقَطْتُ عَنْهُ، ثُمَّ انْتَزَعَ يَدَيْهِ مِنْ الْأَرْضِ، وَتَبِعَهُمَا دُخَانٌ كَالْإِعْصَارِ . قَالَ: فَعَرَفْتُ حَيْنَ رَأَيْتُ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ مُنِعَ مِنِّي، وَأَنَّهُ ظَاهِرٌ. قَالَ: فَنَادَيْتُ الْقَوْمَ: فَقُلْتُ: أَنَا سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ: انظروني أكلمكم، فو الله لَا أَرَيْكُمْ، وَلَا يَأْتِيكُمْ مِنِّي شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَبِي بَكْرٍ: قُلْ لَهُ: وَمَا تَبْتَغِي مِنَّا؟ قَالَ: فَقَالَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: تَكْتُبُ لِي كِتَابًا يَكُونُ آيَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ. قَالَ: اُكْتُبْ لَهُ يَا أَبَا بَكْرٍ(*).

عينُ الله تعالى تكلأ النبي الكريم، وركبه المهاجر في مفاوز الصحراء،{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}(الطور:48). ويتجاسر سراقة ليتقدم بفرسه نحو القائم يتبتّل بين يدي ربه، شاهراً سيفه المخذول، فتغوص يدا فرسه في الأرض، وما علم ذلك المغوار أنّ معية الله تحرس أولياءه، وتحبط مكر الماكرين الذين غرتهم قوتهم، ونسوا قوة الله وقدرته، {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}(الزمر:67).

* السيرة النبوية لابن هشام تحقيق السقا: 1/ 489.

تظهر معيةُ الله تعالى في كبريات مشاهدها في الغار:

عسكرُ قريش المنتشر في شعاب مكة، يهيم على وجهه، يمرّغ كبرياءه بالتراب، كيف شقّ الرسول، صلى الله عليه وسلم، حصار القبضة الحديدية، فلم يألوا جهداً في استنفار الوسائل التي تحقق مأربهم الطائش، فجيشوا قصاص الأثر في محاولة بائسة في العثور على النبي الكريم، صلى الله عليه وسلم.

وكانت المحنة الكبرى التي خفق فيها قلب أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، خفقَة الخوف، والرهبة من تحقيق قريش أوهامها الرعناء، وهم يقفون على باب الغار، إذ لو نظر أحدهم إلى أخمص قدمه لرأى من في الغار، ولكن هيهات أن يبصروا ما بَهَر أبصارهم، فألقت العناية عباءة الطمأنينة والأمان، وتدخلت المعية الربانية؛ لتهزم أولياء الشيطان، ويذكِّر النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، صاحبَه بالمعية الإلهية التي ما غابت، ولن تغيب لحظة عن الركب المهاجر، {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا}(التوبة:40)، وفي ذلك المسير الشاق، وقد خفق القلبُ خفقة الحنين والشوق لمكة، نزل قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}(القصص:85) آية تحمل بشرى العودة إلى مكة، فلا بدّ من الإياب وإن طال السفر.

دراسة مقارنة

بين الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة المنورة

أ. لبيب فالح طه

تمثل الهجرة سنة سار عليها الرسل، عليهم السلام، مضطرين، فرارا بدينهم من ظلم الطواغيت، وإعلاء كلمة الله، وتمكيناً لدين الله في الأرض.

والهجرة شيء شاق على النفس، كونها تبعد المرء عن مسقط رأسه وأهله وبيئة نشأ فيها، وتؤدي به إلى الإقامة في دار جديدة، وتحديات كثيرة تواجهه فيها.

كانت الهجرة خياراً صعباً للأنبياء والمرسلين؛ فإبراهيم، عليه السلام، يتخذ هذا الخيار أثر كيد قومه له، حيث يقول: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ}(الصافات:99) ، ولوط، عليه السلام، يقول: {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(العنكبوت:26) للخروج من القرية التي كانت تعمل الخبائث والمنكرات.

كان التهجير سلاحاً بيد الكافرين، يهددون به عباد الله؛ فإبراهيم هدده أبوه بالرجم أو بالطرد: {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا}(مريم:46). ولوط، عليه السلام، خُيِّرَ بين التوقف عن دعوة الحق أو الخروج: {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ}(الشعراء:167)، {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}(النمل:56).

جاء الحض على الهجرة في سبيل الله، وبيان حسناتها، وفضلها في العديد من آيات القرآن الكريم؛ فقد امتدح الله سبحانه المهاجرين، حيث قال عنهم:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ

هَاجَـرُوا وَجَاهَـدُوا فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ أُولَئِـكَ يَرْجُـونَ رَحْمَـتَ اللَّـهِ وَاللَّـهُ غَفُـورٌ رَحِيمٌ}(البقـرة:218).

والمهاجـرون لهـم أجـر عنـد اللـه وعدهـم بـه، حيـث يقـول تعـالى: {فَاسْـتَجَابَ لَهُـمْ رَبُّهُـمْ أَنِّي لَا أُضِيـعُ عَمَـلَ عَامِـلٍ مِنْكُـمْ مِـنْ ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُـمْ مِـنْ بَعْـضٍ فَالَّذِيـنَ هَاجَـرُوا وَأُخْرِجُـوا مِـنْ دِيَارِهِـمْ وَأُوذُوا فِي سَـبِيلِي وَقَاتَلُـوا وَقُتِلُـوا لَأُكَفِّـرَنَّ عَنْهُـمْ سَـيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُـمْ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ ثَوَابًـا مِـنْ عِنْـدِ اللَّـهِ وَاللَّـهُ عِنْـدَهُ حُسْـنُ الثَّـوَابِ}(آل عمـران:195).

كمـا وعدهـم ربهـم بالمغفـرة، والـرزق الكريـم، حيـث يقول:{وَالَّذِيـنَ آمَنُوا وَهَاجَـرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ وَالَّذِيـنَ آوَوْا وَنَـصَرُوا أُولَئِـكَ هُـمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّـا لَهُـمْ مَغْفِـرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}(الأنفال:74).

وثـواب الهجـرة الدرجـات العـلا، حيـث يقول:{الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَهَاجَـرُوا وَجَاهَـدُوا فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ بِأَمْوَالِهِـمْ وَأَنْفُسِـهِمْ أَعْظَـمُ دَرَجَـةً عِنْـدَ اللَّـهِ وَأُولَئِـكَ هُـمُ الْفَائِزُونَ}(التوبـة:20).

كمـا وعـد الله سـبحانه المهاجرين بحسـنة الدنيا، وأجر الآخـرة، حيث يقول: {وَالَّذِيـنَ هَاجَرُوا فِي اللَّـهِ مِـنْ بَعْـدِ مَـا ظُلِمُـوا لَنُبَوِّئَنَّهُـمْ فِي الدُّنْيَا حَسَـنَةً وَلَأَجْـرُ الْآخِرَةِ أَكْـبَرُ لَـوْ كَانُـوا يَعْلَمُونَ}(النحل:41).

ويقـول أيضاً:{وَالَّذِيـنَ هَاجَـرُوا فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ ثُـمَّ قُتِلُـوا أَوْ مَاتُـوا لَيَرْزُقَنَّهُـمُ اللَّـهُ رِزْقًـا حَسَـنًا وَإِنَّ اللَّـهَ لَهُـوَ خَـيْرُ الرَّازِقِينَ}(الحـج:58).

والهجـرة في سـبيل اللـه مـن علامات مـوالاة المؤمنـين، مصداقـاً لقوله تعـالى:{إِنَّ الَّذِيـنَ آمَنُوا وَهَاجَـرُوا وَجَاهَـدُوا بِأَمْوَالِهِـمْ وَأَنْفُسِـهِمْ فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ وَالَّذِيـنَ آوَوْا وَنَـصَرُوا أُولَئِـكَ بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ وَالَّذِيـنَ آمَنُـوا وَلَـمْ يُهَاجِـرُوا مَـا لَكُـمْ مِـنْ وَلَايَتِهِـمْ مِـنْ شَيْءٍ حَـتَّى يُهَاجِـرُوا وَإِنِ اسْـتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّيـنِ فَعَلَيْكُـمُ النَّـصْرُ إِلَّا عَـلَى قَـوْمٍ بَيْنَكُـمْ وَبَيْنَهُـمْ مِيثَـاقٌ وَاللَّـهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ بَصِيرٌ}(الأنفـال:72).

كمـا أن فقـراء المهاجريـن يسـتحقون مـال الفـيء:{ مَّـا أَفَـاءَ اللَّـهُ عَلَى رَسُـولِهِ مِـنْ أَهْـلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّـهِ وَلِلرَّسُـولِ وَلِـذِي الْقُـرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَـاكِينِ وَابْـنِ السَّـبِيلِ كَيْ لَا يَكُـونَ دُولَـةً بَـيْنَ الْأَغْنِيَـاءِ مِنكُـمْ وَمَـا آتَاكُـمُ الرَّسُـولُ فَخُـذُوهُ وَمَـا نَهَاكُـمْ عَنْـهُ فَانتَهُـوا وَاتَّقُـوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ شَـدِيدُ الْعِقَـابِ* لِلْفُقَـرَاءِ الْمُهَاجِرِيـنَ الَّذِيـنَ أُخْرِجُـوا مِـنْ دِيَارِهِـمْ وَأَمْوَالِهِـمْ يَبْتَغُـونَ فَضْـلًا مِـنَ اللَّـهِ وَرِضْوَانًـا وَيَنْـصُرُونَ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ أُولَئِـكَ هُـمُ الصَّادِقُونَ}(الحـشر:7 - 8).

في مقابل وَعْد المهاجرين في سبيل الله بالأجر العظيم، فإن هناك عقوبات لعدم الهجرة؛ فالمسلمون مطالبون بعدم موالاة من لا يهاجر في سبيل الله-وهذا من علامات الكفر- حيث يقول تعالى:{وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا}(النساء:89).

كما توعَّد الله سبحانه الذين لا يهاجرون بجهنم، وساءت مصيراً، حيث يقول تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}(النساء:97).

والمسلمون المؤمنون ممن ساروا على سنة الأمم السابقة بالهجرة في سبيل الله، كانت لهم وجهتان للهجرة لكل من الحبشة ويثرب، تشبهان بعضهما بعضاً في الهدف، ولكن تختلفان في أوجه عدة، وستحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على أوجه الشبه والاختلاف بين الهجرتين.

أوجه الشبه والاختلاف بين الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة المنورة:

أولاً- كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة جزئية وإلى يثرب كلية:

هاجر إلى الحبشة بعض المسلمين، كان المسلمون والمسلمات عشرات، لكن لم يهاجروا جميعاً، أما في الهجرة إلى يثرب فقد كان المسلمون جميعاً مطالبون بالهجرة عامة، فراراً بدينهم، ولإقامة الدولة الإسلامية.

ثانياً- من ناحية العدد:

في الهجرة الأولى إلى الحبشة كان العدد عشرة رجال وخمس نسوة، هم: عثمان بن عفان، وزوجه رقية بنت الرسول، صلى الله عليه وسلم، وأبو سلمة، وزوجه أم سلمة، وأخوه أبو سبرة بن أبي رهم، وزوجه أم كلثوم، وعامر بن ربيعة، وزوجه ليلى، وأبو حذيفة بن عتبة

ابـن ربيعـة، وزوجـه سـهلة بنـت سـهيل، وعبـد الرحمـن بـن عـوف، وعثمـان بـن مظعـون، ومصعـب ابـن عمـير، وسـهل بـن البيضـاء، والزبـير بـن العـوام[1]، وأنهـم أمّـروا عليهـم عثمـان بـن مظعـون[2].

يقـول ابـن هشـام في «السـيرة النبويـة»: فـكان جميـع مـن لحق بـأرض الحبشـة، وهاجـر إليها مـن المسـلمين، سـوى أبنائهـم الذيـن خرجـوا بهـم معهـم صغـاراً وولـدوا بهـا، ثلاثـة وثمانـين رجـلاً، إن كان عمـار بـن يـاسر فيهـم، وهـو يشـك فيـه[3]. وكان في الهجـرة ثمـاني عـشرة أو تسـع عـشرة امـرأة[4].

لـم نتمكـن مـن الحصـول عـلى عـدد المهاجريـن مـن مكـة إلى المدينـة، إلا أنـه ولا شـك أكـبر مـن عـدد المهاجريـن إلى الحبشـة بفعـل ازديـاد عدد المسـلمين، بعد إسـلام من أسـلم بعـد الهجرتين إلى الحبشـة؛ فالهجـرة اسـتمرت حـتى فتـح مكـة حـين نهـى الرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، عنهـا كما في صحيـح البخـاري، بقولـه: (لاَ هِجْـرَةَ بَعْـدَ الفَتْـحِ، وَلَكِـنْ جِهَـادٌ وَنِيَّـةٌ، وَإِذَا اسْـتُنْفِرْتُمْ فَانْفِـرُوا) [5]، وفي صحيح مسلم بقوله: (لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا)[6].

ثالثاً- محاولة إعادة المهاجرين:

حاولـت قريـش إعـادة المهاجريـن إلى الحبشـة عـبر إرسـال عمـرو بـن العـاص وعبـد اللـه بـن أبي ربيعـة، أمـا المهاجـرون إلى يـثرب، فحاولـت منعهـم، ولا يعـرف إن كانـت حاولـت إعادتهـم إلى مكـة مـن يـثرب.

قـال ابـن إسـحاق : فلمـا رأت قريـش أن أصحـاب رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـد أمنـوا واطمأنـوا بـأرض الحبشـة، وأنهـم قـد أصابـوا بهـا داراً وقـراراً، ائتمـروا بينهـم أن يبعثـوا فيهـم منهـم رجلـين مـن قريـش جلديـن إلى النجـاشي، فيردهـم عليهـم، ليفتنوهـم في دينهـم، ويخرجوهـم

1. محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، دار الكتب العلمية، ص: 57، دون تاريخ أو مكان نشر.
2. أبو الحسن علي الحسني الندوي، السيرة النبوية، دمشق: دار القلم، 1422هـ2001-م، ص: 131.
3. عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، القاهرة: المكتبة التوفيقية، تحقيق محمد فهمي السرجاني وخيري سعيد، 1/ 214، 2003م.
4. صفي الرحمن المباركفوري، بحث في السيرة النبوية، القاهرة: دار الحديث، 1423هـ2002-م، ص: 117.
5. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير.
6. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير. وبيان معنى (لا هجرة بعد الفتح).

من دارهم، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ؛ فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص ابن وائل، وجمعوا هدايا للنجاشي ولبطارقته، ثم بعثوهما إليه فيهم[1].

تقول أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي في طلب المهاجرين اليها:(ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم)[2].

رابعاً- هدف الهجرة:

اختلف هدف الهجرة في الحالتين؛ ففي حال الهجرة إلى الحبشة كانت فرار بعض المسلمين بدينهم وبأنفسهم، أما في حال الهجرة إلى يثرب، فكان الهدف المذكور يُضاف إليه أهداف أخرى؛ كإقامة دولة الإسلام، وتمكين دين الله في الأرض.

يقول الدكتور راغب السرجاني: (فالمسلمون الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا يريدون حفظ أنفسهم في مكان آمن حتى لا يستأصل الإسلام بالكلية، إذا تعرض المسلمون في مكة للإبادة، ولم يكن الغرض هو إقامة حكومة إسلامية في الحبشة؛ بل كان المسلمون مجرد لاجئين إلى ملك عادل، أما الهجرة هنا، فكان الغرض منها إقامة دولة إسلامية تكون يثرب هي المركز الرئيس لها)[3].

خامساً- الهجرة إلى الحبشة تعتمد على رجل واحد:

الهجرة إلى الحبشة تعتمد على رجل واحد، أما في يثرب، فالهجرة لم تكن تعتمد على رجل معين؛ بل تعتمد على شعب يثرب عامة، والجوُّ العام هناك صار محباً للإسلام، أو على الأقل أصبح قابلاً للفكرة الإسلامية؛ ومن ثم كانت الهجرة إلى هناك جماعية كاملة[4].

---

1. عبد الملك بن هشام، مصدر سابق، 1/ 216.
2. المصدر نفسه، 1 /217.
3. راغب السرجاني، الهجرة النبوية .. ملامح وسمات، تم الوصول إليه بتاريخ 3 /5 /2019، آخر تحديث 20/ 1/ 2019، متوفر على موقع: http://www.startimes.com/f.aspx?t=37562572
4. راغب السرجاني، الهجرة النبوية .. ملامح وسمات، تم الوصول إليه بتاريخ 3 /5/ 2019، آخر تحديث 20 /1/ 2019، متوفر على موقع: http://www.startimes.com/f.aspx?t=37562572

سادساً- عودة مهاجري الحبشة:

عاد مهاجرو الحبشة بعد أن بلغهم إسلام أهل مكة؛ ليتبين لهم عدم صحة ذلك، فعاد بعضهم للهجرة مرة أخرى.

قال ابن إسحاق: (وبلغ أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة، إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك، حتى إذا دنوا من مكة، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً)، وفي النهاية كان عدد القادمين من الحبشة ثلاثة وثلاثين رجلا[1].

يذكر الخضري عن سبب عودتهم أنهم قليلو العدد، مما أشعرهم الأنس، وهم أشراف قريش، ولا يطيب لهم عيش في دار غربة[2].

قال ابن إسحاق: (وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى بعث فيهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين، فقدم بهم عليه، وهو بخيبر بعد الحديبية)[3].

سابعاً- هجرة الحبشة هجرتان،أما يثرب فمرة واحدة:

عندما عاد المسلمون إلى مكة من الحبشة في المرة الأولى، وتبين لهم عدم صحة إسلام أهل مكة، عاد قسم منهم إلى الحبشة مهاجرين مرة ثانية، أما في الهجرة إلى يثرب؛ فلم يعد المسلمون إلى مكة إلا فاتحين.

ثامناً- الهجرة إلى الحبشة كانت بحراً وإلى يثرب براً:

كانت الهجرة إلى الحبشة بحراً عبر ميناء شعيبة عبر سفينتين تجاريتين ، أما الهجرة إلى مكة فكانت عبر البر[4].

1. عبد الملك بن هشام، مصدر سابق،2/ 13و15.
2. محمد الخضري، مصدر سابق، ص: 58.
3. عبد الملك بن هشام، مصدر سابق،3/ 238.
4. صفي الرحمن المباركفوري، مصدر سابق ، ص: 116.

تاسعاً- الهجرة إلى يثرب هيأ لها مسلمون من أهل البلد:

كان في يـثرب حـين هاجـر إليهـا المهاجـرون مسـلمون مـن أهـل البلـد مـن الأنصـار، الذيـن أسـلموا بعـد بيعـتي العقبتـين، وهـذا مـا لـم يتوافـر حـال الهجـرة إلى الحبشـة.

عاشراً- هاجر الرسول إلى يثرب، ولم يهاجر إلى الحبشة:

لـم يهاجـر الرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، إلى الحبشـة، وإنمـا أشـار عـلى المسـلمين بالهجـرة، حيـث يقـول ابـن إسـحاق: (فلمـا رأى رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم، مـا يُصيـب أصحابـه مـن البـلاء، ومـا هـو فيـه مـن العافيـة، بمكانـه مـن اللـه ومـن عمـه أبي طالـب، وأنـه لا يقـدر عـلى أن يمنعهـم ممـا هـم فيـه مـن البـلاء، قـال لهـم: لـو خرجتـم إلى أرض الحبشـة، فـإن بها ملـكاً لا يُظلـم عنـده أحـد، وهـي أرض صـدق، حـتى يجعـل اللـه لكـم فرجـاً ممـا أنتـم فيـه؛ فخـرج عنـد ذلك المسـلمون مـن أصحـاب رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم، إلى أرض الحبشـة، مخافـة الفتنـة، وفـراراً إلى اللـه بدينهـم، فكانـت أول هجـرة في الإسـلام)[*].

هاجـر الرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، إلى يـثرب بعـد أن سـبقه إليهـا كثـير من المسـلمين، ليؤاخي بين المهاجرين والأنصار، ويبني المسجد، ويضع لبنة الدولة الإسلامية الموعودة.

* عبد الملك بن هشام، مصدر سابق،1/ 208، بتصرف.

في رحاب الهجرة النبوية الشريفة

الشيخ محمد ذياب أبو صالح
عضو الهيئة الإسلامية العليا

يـا خاتَـمَ الرُسُـلِ الكـرامِ سـلامُ ... بِـكَ يوصـلُ المظلـومُ والأرحـامُ
يـا خـيرَ مـن ضـاءَ الوجـودَ بنـورهِ ... وأنـارَ كّونـاً مـا اسـتبدَّ ظـلامُ
لـك في فـؤادي مـا حّيْيـتُ محبـةٌ ... ترنـو لهـا الجـوزاءُ والأجـرامُ
فـإذا نطقـتُ فـإنَّ ذكـركَ مُلهمـي ... حمـداً جميـلاً والثنـاءُ ختـامُ
أودعـتَ في أجـواءِ نفـسي عِفَّـةً ... تـأبى الهـوانَ وفيـك كيـفَ تُضـامُ
يـا صاحـبَ الـشرفِ الـذي مـن دونـهِ ... شرف الملـوكِ وغـيرهُ أوهـامُ
قـدْ بـشَّرَ التـوراةُ قبـلَ مجيئـهِ ... والكُتـبُ والألـواحُ والأقـلامُ
وتلـوتُ في الإنجيـلِ عنـك صراحـةً ... يـا أحمـدُ المختـارُ أنـتَ إمـامُ
إني لأرجـو في المعـادِ شـفاعةً ... يـوم القيامـةِ والأنـامُ زحـامُ
الجـرحُ في كبـدِ الخلائِـقِ نـازفٌ ... حـارَ الطبيـبُ فليتَـهُ يلتـامُ
والحـقُّ لا يسـعى نصـيرٌ نحـوهُ ... عـمّ الفسـادُ وزادتِ الآلامُ
والكـونُ أطبـقَ ظُلْمُـهُ وظلامُـهُ ... مـن دونِ ربي تعبـدُ الأصنـامُ
والخلـقُ لا ديـنٌ لهـم أو دولـةٌ ... ترعـى العبـادَ ويسـتتبُ نظـامُ
والجهـلُ والطاغـوتُ هُـم سـاداتُها ... والكفـرُ والكفـار: هـمُ حُـكامُ
والنـاسُ فـوضى لا سُراةَ تقودُهُـم ... وعـلى النفـوسِ غمامـةٌ ورغـامُ
فغـدوتَ في أكنـافِ مكـةَ داعيـاً ... وحملـتَ مـا نـاءت بـهِ الأجسـامُ
فدعـوتَ سِراً في العبـادِ وجهـرةً ... وجمعـتَ شـملاً أنـت فيـه إمـامُ
والتـفَّ حولَـكَ إخـوة وصحابـةٌ ... بيْـضُ القلـوبِ وكلُهُـم إقـدامُ

لاقيتَ ما لاقيتَ مِنْ إيذائِهم ... إنَّ الشدائدَ للهداةِ جِسامُ
قالوا الأمين وأنت طفلٌ يافعٌ ... فيك الأمانةُ جُذوةٌ وتمامُ
أسرى بك الرحمنُ ليلاً صوبَه ... والخلقُ غُفلٌ والأنامُ نِيامُ
فعرجتَ في رحب السمواتِ العُلا ... وسموتَ منزلةً ولاحَ مُقامُ
دفعوا له من كلِّ قومٍ فارساً ... حتى يُوزَعَ بينهم أقسامُ
فجمعتَ أمركَ للإله مناجياً ... ترجو النجاةَ وفي النفوسِ مرامُ
وأنِستَ بالصدِيقِ أسمى صحبةٍ ... لزمَ الفراشَ عليُ وهو غلامُ
ولجأتَ جوفَ الغارِ من إيذائِهم ... لكّنَّ عينَ اللهِ ليس تنامُ
قد خالجَ الصدِّيقَ حقاً خيفةً ... لما دنا الكفار منهُ وشاموا
حارت قلوبُهُم وضلَّ سبيلُهُم ... ضاقت بهم بيضُ الرمالِ فهاموا
يا صاحبي لا تبتئس من أمرِنا ... عينُ الإلهِ عليّ فهيَ دوامُ
قد جُنّدت أسماءُ في طاعاتِهم ... فلها يليقُ العزمُ والإقدامُ
وكذاك عبدُ الله يأتي مُخبراً ... تُخفي خطاه الريحُ والأغنام
لما سراقةُ قد دنا بجوادِهِ ... صوبَ النبيِّ ساختِ الأقدامُ
فعلا إلى كبدِ السماءِ غبارُهُ ... يزجرُهُ جبريلُ الأمينُ همامُ
لك إنْ تُثبتَ سوارَ كِسرى مِنحةً ... الجودُ فعلكَ والعطاءُ غمامُ
يا طيب طيبةَ إذ حللتَ بأرضِها ... وقدمتَ قوماً هُم إليكَ كرامُ
هل لي بيومٍ مثل بدرٍ عودةٌ ... تهفو له الآجالُ والأعوامُ
أنظر لأمرِ المسلمينَ وحالِهم ... مُستضعفينَ كأنهم أيتامُ
هل لي إلى الفاروقِ يبني عهدَة ... العدلُ في برديهِ والإقدامُ
وأرى الفوارسَ مثلَ خالدٍ الذي ... يُزجي الجيوشَ وتُرفعُ الأعلامُ
حفظوا الحدودَ وحرروا أوطانَهم ... صلّوا على حدِّ السيوفِ وصاموا
والحقُّ ما لمْ تحتضنهُ أسِنَّةٌ ... يبقى هزيلاً صنوه الأوهامُ
الدينُ والدولاتُ لا تُبنى على ... قهر الشعوبِ فللنفوسِ زمامُ
أيعودُ للإسلامِ سابقُ عهدِهِ ... أركانُ دولتِنا عليهِ تُقامُ
فيُذَلُّ جندُ الكفرِ مع ساداتِهم ... ويُعزُ جندُ اللهِ والإسلامُ

نفحات من الهجرة النبوية

شعر: زهدي حنتولي
موظف إداري

في يومِ هجرةِ خيرة الأخيارِ ... غنّى القصيدُ بمحفلِ الأنوارِ
وتهلّلَ الحرف الندىّ بمدحهِ ... بتألّقٍ كتهلّلِ الأقمارِ
وتضوّعَ الطّيبُ الزّكيّ بوصفهِ ... والمسكُ فاحَ بنفحةِ المعطارِ
وجرى بشريانِ القوافي حبّهُ ... وغدا بها كالجدولِ الجاري
طه النّبيّ قصيدتي في رونقٍ ... من إثرِ نورِكَ في الهدى السيّارِ
يا خاتم الرسل الكرام تحيّةً ... أفديكَ روحي يا رؤى الأبصارِ
يا سيّد الخلقِ البهيِّ وسامةً ... يا صفوةَ الأبرارِ والأخيارِ
هاجرتَ من ظلمٍ دجا بظلامهِ ... كالليلِ يسدلُ لونهُ بحصارِ
هاجرتَ موطنكَ الذي أحببتهُ ... منْ شرِّ كيدِ جحافلِ الكفّارِ
هاجرتَ مكّةَ كي تعودَ لفتحها ... وتنيرها بالهدي والأنوارِ
لمّا رأيتَ حصارهم متوغّلاً ... كي يقتلوكَ بعصبةِ الأشرارِ
لمّا بدتْ أنيابهم عن حربهم ... وتكشّرتْ وحشيّةَ الأظفارِ
من بطنِ مكّةَ يومها في ليلةٍ ... هاجرتَ نحو مدينة الأنصارِ
وبصحبةِ الصّديقِ كنتَ برفقةٍ ... وتقولُ «لا تحزن» لهُ في الغارِ
فاستقبلوك بطيبةٍ وحفاوةٍ ... وبعوسجِ الإنشادِ والأشعارِ
ضربوا من الأمثالِ مضربِ عزّةٍ ... بمواقفِ الإكرامِ والإيثارِ
في الهجرة النبويةِ اتسع المدى ... وتنسّمَ التاريخُ بالأخبارِ
أرسيتَ فيها منهجاً متماسكاً ... للخلقِ يبقى في مدى الأدهارِ
فيها من النفحاتِ عطرُ رسالةٍ ... وأريجها قد فاحَ في الأمصارِ
صلى عليكَ الله يا خيرَ الورى ... ما أشرقتْ شمسٌ ببدءِ نهارِ

تجاوزات تتعلق بالطلاق

الشيخ د. يسري عيدة
مساعد مفتي / دائرة إفتاء محافظة الخليل

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، وبعد؛

فالله تبارك وتعالى وصف عقد الزواج بأنّه ميثاقٌ غليظٌ، فقال عزَّ وجلَّ: {وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا } (النساء: 21). فعقد الزواج عقد عظيم، وهو من أهمِّ العقود التي يجريها المسلمون في حياتهم، وينبغي للأزواج جميعًا أنْ يُراعوا حرمتَه ومكانته، وهذا العقد يحصل بالإيجاب والقبول بين الزوج وزوجته أو وكيلها، وفق أصول وضوابط وتفاصيل معلومة، وينتهي هذا العقد بكلمة الطلاق الصادرة من الزوج، إن كان بكامل أهليته الشرعية المعتبرة.

والأصلُ في الحياة الزوجية السكينة والمودة والتفاهم والحوار والاستقرار، قال اللهُ سبحانه وتعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(الروم: 21)، وينبغي للزوجين أنْ يعرفَ كلٌّ منهما ما له وما عليه من الحقوق والواجبات، وقد أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى الأزواجَ أنْ يُعاشروا زوجاتهم بالمعروف، قال الله سبحانه وتعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}(النساء: 19)، وأوصى النبيُّ الكريم، صلى الله عليه وسلم، الأزواجَ بالزوجات خيرًا، فقال، صلى الله عليه وسلم: (فاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)(*)، ويجب على الزوجة أن تُطيعَ زوجها بالمعروف، قال الله سبحانه وتعالى: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ } (النساء: 34)، ومعنى " قانتات ": طائعات

* صحيح البخاري، كتاب النكاح،باب الوصاة بالنساء.

لله ولأزواجهنَّ[1] ، وأكّد النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، على وجوب طاعة الزوجة لزوجها، فقال صلى الله عليه وسلم : (لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا)[2].

من تجاوزات الأزواج والزوجات في أمر الطلاق:

* حلفُ كثيرٍ مِن الأزواج بالطلاق، حتى على سفاسف الأمور، فتجد كثيرًا من الأزواج يحلف بالطلاق على الطعام والشراب، والذهاب والإياب، ونحوها من شؤون الحياة، حيث يقول الزوج مثلاً: (عليّ الطلاق إلا تتغدى عندي اليوم)، (عليّ الطلاق إلا تروحي على أهلك...) ونحوها من العبارات، بل إنَّ الأمر لاستفحاله وانتشاره، لم يقتصر على الأزواج وحدهم ، بل تعدى إلى غير المتزوجين، فتعداهم إلى الأطفال والنساء! فتجد كثيرًا مِن العُزّاب يحلفون بالطلاق، وبعض الأطفال يحلفون بالطلاق في لعبهم وبعض شؤونهم ، مقلدين الآباء والأعمام والأهل في ذلك، أمَّا أنْ يصل الأمر بأنْ تحلفَ بعضُ النِّسوة بالطلاق، كأنْ تقولَ الزوجة لزوجها: (عليّ الطلاق إلا تشتري جهاز هاتف غدًا)، ونحوها مِن وَقائع، فهذا في قمة الغرابة والاستهجان!.

والحلف بالطلاق لا يجوز؛ فهو من صيغ الحلف غير المشروعة؛ لقول النبيِّ الكريم ، صلى الله عليه وسلم : (مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ)[3]، والحلف بالطلاق استخفاف به واستهتار وتعدٍّ واضح، وقد جاء التحذير الإلهي من ذلك في سياق آيات الطلاق، قال الله سبحانه وتعالى: {ولا تتَّخِذوا آياتِ اللهِ هُزُوًا }(البقرة:231) ، وقال عزَّ وجل كذلك: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا}(البقرة:229).

* التهديد بالطلاق، حيث يلجأ كثيرٌ مِن الأزواج إلى أسلوب التهديد بطلاق زوجته على موقف أو مواقف متعددة، حيث يكثر على لسانه من التهديد لها بالطلاق، مما يؤدي إلى تفاقم الأمر، وزيادته عن حدّه، مما ينجم عنه المزيد من المشكلات الزوجية، والنفرة، وقد يصل الأمر إلى خروج الزوجة من بيت الزوجية إلى بيت أهلها، فيما تعرف بظاهرة " الحَرَد "، وقد

1. الطبري، جامع البيان: 8 /294. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم : 2 /293.
2. سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، وقال الألباني : حسن صحيح.
3. صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب كيف يُستحلف.

يصل الأمر إلى ما هو أكثر من ذلك، من حيثُ رفع قضية نفقة، ومِن ثَمَّ شقاق ونزاع إلى المحكمة الشرعية، ومِن ثَمَّ ينتهي الأمر بالفراق والطلاق.

* جعل الطلاق أوَّلَ الحلول لا آخرها، ولا شكَّ في أنَّ هذه الظاهرة منتشرة بكثرة عند كثير من الأزواج، فإذا ما حصلت مشكلةٌ أو سوءُ فَهْمٍ بين الزوج وزوجته لسبب أو لآخر، فتجده يطلقها مباشرة دون تريّث وتأنٍّ، ثم يندم بعد ذلك على تسرّعه واستعجاله، بعد أن احتسبت عليه طلقة.

* عدم اعتبار واتعاظ كثيرٍ من الأزواج ممن طَلَّقوا زوجاتهم للمرّة الأولى، حيث تتكرر المشكلات الزوجية لاحقاً، فيتسرع مِن جديد فيطلّقها الطلقة الثانية، وإنَّ من الغريب جدًا أنْ يُطلِّقَ الزوجُ زوجتَه للمرَّة الأولى، ثُمَّ يراجعُ وزوجته المفتي، ويتمُّ نصحهما وتخويفهما وتحذيرهما من تكراره مرّة أخرى، فتتفاجأ من تطليقه لها مرّة أخرى بعد ذلك بأيام أو أسابيع أو بضعة أشهر، ولربما كان الطلاق الثاني لموضوع الطلقة الأولى نفسه!

* العصبية الزائدة عند كثيرٍ مِن الأزواج، إذ ينفعلُ الزوج مباشرة، ويطلّق سريعًا دون أنْ يتريثَ، ودون أنْ يتعوذَ بالله مِن الشيطان الرجيم، ودون أنْ ينصرفَ مِن وَجه زوجته، أو تنصرفَ هي من وجهه إلى غرفة أخرى وتختصر، بل على العكس تمامًا، مِن النساء من تُعاند وترفع صوتَها، وتستفزُّ الزوج زيادة على ما هو عليه من عصبية وتوتّر، فتكون سببًا مباشراً لمواجهتها بالطلاق، فبدل أنْ تختصرَ، تتمادى في الاستفزاز، كالذي يضع البنزينَ على النار، فتزيد الطين بِلّةً، والحال عِلَّةً!

* تكرار لفظ الطلاق أكثر مِن مرّة في مجلس واحد، سواء أكان في البيت أم عبر الهاتف، بحيث يتلفظ الزوج بالطلاق أكثر من مرّة، كأن يقول لزوجته: أنت طالق، طالق، أو طالق بالثلاث، أو بالمئة، أو بالمليون!

* تفنن بعض الأزواج بعبارات الطلاق وما يتبعها من عبارات، كأنْ يقولَ الزوجُ لزوجته: أنت طالق، وما يردك لا شرع ولا فرع!، أو أنْ يقولَ لها: أنت طالق على المذاهب كلها! أو: أنت طالق، لا يردك لا حنفي ولا مالكي ولا شافعي ولا حنبلي! ونحوها من عبارات فيها تجاوز صريح لحدّ الله تعالى.

* ظنُّ كثيرٍ مِن النَّاس أنَّ طلاقَ الزوجة حالَ الحيض، أو النفاس، أو الحمل، أو الجنابة لا يُحتسب! وهذا غير صحيح، فالطلاق يقع سُنيّا كان أم بدعيًا، والطلاق السنيّ: أن يُطلِّق الزوج زوجته في طهر لم يمسّها فيه، والطلاق البدعي: أنْ يُطلّق الزوج زوجته في طهر مسّها فيه، أو كانت حائضاً أو نفساء، فيقع مع الإثم.

* ظنُّ كثيرٍ من الناس أنَّ الطلاقَ عبر الهاتف، أو مواقع الاتصال والتواصل عبر الانترنت، كالفيس بوك وتويتر ونحوهما، أو الرسائل القصيرة ونحوها لا يقع، واعتقاد أنَّ الطلاقَ لا يقع إلا وجهًا لوجه، بل ما وصل به الحال في بعض الدول بأنَّ الطلاق لا يقع إلا أمام القاضي، حيث إذا طلّق الزوج زوجته ولو مرّات عدة خارج المحكمة، فإنَّ ذلك الطلاق لا يحتسب، فكلُّ ذلك غير صحيح، فالطلاق يقع سواءً أكان وجهًا لوجه، أم عبر الهاتف، أم برسالة، وسواء حصل أمام القاضي أم في أي مكان، فكلّ ذاك يقع.

* في حالات عدّة يُطلِّق العاقد المعقود عليها قبل الدخول والخلوة الصحيحة، سواء كان وجهًا لوجه، أم عبر الهاتف، أم برسالة، ومن ثم يكتمان الأمر عن الأهل، ويتم الزواج والدخول بها، وقد ينجبان بعد ذلك طفلًا أو أطفالاً عدة، ثُمَّ قد يحصل طلاقٌ بعد ذلك، فيتوجهان إلى القاضي أو المفتي، فيَتِمُّ اكتشاف الطلاق الأول الذي كان قبل الدخول، وهنا تكون الكارثة!، حيث إنَّ الدخول الحاصل بعد الطلاق الذي أوقعه العاقد على المعقود عليها قبل الدخول أو الخلوة الشرعية دخولٌ غير صحيح، ومِن ثَمَّ يحتاجُ الأمرُ إلى إجراءات ليست سهلة، من أجل تثبيت الطلاق الأول، ومن ثم تصحيح عقد الزواج، بإجراء عقد زواج جديد لهما، وتصحيح نسب الأولاد، من خلال إجراءات عدة في المحكمة الشرعية المتخصصة .

* طلبُ الزوجة الطلاقَ مِن زوجها مِن غير مسوّغ شرعيٍّ مُعتبر، فكثيرٌ مِن الزوجات مَن يفعلنَ ذلك، حيثُ تُلحُّ الزوجة على زوجها بأنْ يُطلّقَها على أتفه الأسباب، وتقول له: طلّقني، أو: (إذا مش عاجبك طلّقني)، بل منهنّ مَن تستفزُّ زوجَها بطريقة عجيبة مستهجنة، فتقول له: إنْ كنتَ رَجُلًا طلّقني!!! ونحوها من عبارات مستفِزَّة، ومن ثَمَّ يطلّقها زوجُها، وقد حذّر النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، الزوجات من ذلك، فقال: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ)(*).

* خروج الزوجة من بيت زوجها إذا طلّقها زوجها طلاقًا رجعيًا إلى بيت أهلها فورًا، سواء ذهبت بنفسها، أم اتصلت بأهلها فأخذوها، دون أنْ يطردَها زوجُها، ودون أنْ يأذنَ لها بالذهاب لأهلها، فهذا تصرّفٌ لا يجوز شرعًا، والأصل أنْ تبقى الزوجةُ المطلقة طلاقًا رجعيًا في بيت زوجها، لعلَّهُما يَتصْالحان خلالَ فترة العدة، فترجع الأمورُ إلى مجاريها، وما يسمّى بظاهرة " الحرد / المرأة الحردانة " لا أساسَ لها في كُتب الفقه، والحالة الوحيدة التي لا إثمَ فيها على الزوجة في هذه النقطة تحديدًا: بأنْ يُطلّقَها زوجُها ويطردَها خارجَ بيته، فتذهب لأهلها، فلا إثم عليها هنا، وإنْ أراد الزوج إرجاعها، فيذهب إلى أهلها كي يصلح الأمر كما أفسده!.

* تدخّل الأهل السلبي في حياة الزوجين، سواء من طرف أهل الزوج، أم أهل الزوجة، فكم من زوجة طُلِّقت بسبب أهل الزوج؟! وكم من أخرى طلّقت بسبب أهل الزوجة؟!، والأصل أنْ يسكنَ الزوجان في بيتٍ مُستقلٍّ، وأنْ لا يتدخل أهلُهما إلا في نطاق ضيّق للصلح بينهما، لا للسعي في فراقهما!.

* في حالات طلاق كثيرة يتوجّه كثيرٌ مِن الأزواج إلى غير دور الإفتاء أو المحاكم الشرعية، متهاونين بالطلاق، فيستفتون من ليس أهلًا لذلك أو من قبل غير المخولين بذلك، فيُرجِعون لهم زوجاتهم بفتاوى ينقصها الاستماع للطرفين، والوقوف على تفاصيل عدة تؤثر في الفتوى،

* سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب في الخلع، وصححه الألباني.

من حيثُ اعتبار وقوع الطلاق من عدمه، ومن ثَمَّ الوقوف على طوامّ وكوارث لاحقًا! وقد حصل في المجتمع جرّاء عدم انضباط الفتوى في الطلاق، وسؤال غير أهل الاختصاص أنْ أرجعت مُطلقة طلاقًا بائنًا بينونة كبرى لطليقها، دون أن تتزوج من آخر، وفي أكثر من حالة، ولأجل ذلك، ينبغي لمَن يُطلّق زوجتَه أنْ يراجعَ المفتي على أقل تقدير، كي يكون على بيّنة من أمره مع زوجته، هل هو معها بالحلال أم بالحرام، وينبغي للعلماء وطلاب العلم والإخوة أئمة المساجد والمهتمين بالعلوم الشرعية أن يتورّعوا عن الإفتاء بالطلاق، وأنْ يُحوّلوا الحالات كلَّها التي تُعرض عليهم إلى دور الإفتاء، كلٌّ في محافظته، حيث يصطحب الزوج زوجته معه، فيسمع منهما المفتي، ويفتيهما وفق الأصول، إبراءً لذمته ودينه وعِرضه.

* كذب بعض الأزواج والزوجات على المفتي أو القاضي، وقد يحلف الزوج على المصحف كاذبًا أنّه لم يطلّق زوجته، وقد تتواطأ زوجته معه على الكذب، وقد يكون ذلك في الطلقة الثالثة، ومن ثم ترجع إليه إفتاءً أو قضاءً، لا ديانة طبعاً، فالزوج هو من يتحمل حرمة ذلك، والزوجة معه إن كانت شريكة له في ذلك الجرم الكبير.

ومن الأزواج من يكذب كذلك في يمينه مُنكرًا أنّه طلّق زوجته، أو يحلف أنَّه كان غضبان غضبًا شديدًا، أو أنَّه كان مدهوشاً، أو سكران، ونحوها من مبررات يكون فيها كاذبًا، فهو من يتحمل تبعة يمينه الكاذبة.

* بعض الإخوة يتساهل جدًا في الطلاق، فيتلفظ به متهاوناً بحجة أنه غضبان، لا يقع طلاقه، فاتخذ ذلك ذريعة لتكرار التلفظ بالطلاق، فنرجو من الإخوة المفتين والعلماء وطلاب العلم والدعاة والأئمة أن ينتبهوا وينبّهوا لذلك.

والحمد لله رب العالمين

فضل صلاة الجماعة، وحكمها، والفرق بين أدائها في المسجد وغيره

الشيخ شريف مفارجة
باحث شرعي / دار الإفتاء الفلسطينية

لا شك في أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد، لما لها من فضائل متعددة، خاصة من ناحية مضاعفة الأجر، إذ تفوق صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، وفي رواية أخرى بخمس وعشرين درجة، قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: (صَلاَةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)[1]، وقال، صلّى الله عليه وسلّم: (صَلاَةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الفَذِّ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)[2]، وأرجع الفقهاء سبب الاختلاف في الروايات إلى تفاوت درجات المصلين في إتمام صلاة الجماعة على الوجه المطلوب، من ناحية الخشوع والتعظيم والخوف والرجاء، فمن العلماء من ذهب إلى أنّ الصلاة الجهريّة أعظم أجراً من الصّلاة السّريّة، لذلك تكون درجاتها أكثر، ومنهم من قال: إنها في المسجد جماعة أكثر ثواباً من غيرها،لما يصحب ذلك من مشقة، وعلى الأحوال كلها، فإن صلاة الجماعة تفرق فرقاً كبيراً في الثواب عن صلاة الفرد، لذلك كان السلف الصالح يحرصون على أداء صلاة الجماعة في المسجد، حتى إن الواحد منهم كان يحرص عليها وهو يهادى بين الرجلين، بل منهم من كان يحرص على إدراك تكبيرة الإحرام سنين عدة.

1. صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة.
2. التخريج نفسه.

حكم صلاة الجماعة:

اختلف الفقهاء في حكم صلاة الجماعة على النحو الآتي:

القول الأول: إنها سُنّة مؤكّدة في حق الرّجال، وهذا رأي أكثر الحنفيّة والمالكية.

القول الثاني: هي فرض كفاية، وهذا قول بعض المالكيّة، وقول الشّافعية.

القول الثالث: واجبة على كل مسلم، وهو قول بعض الحنفيّة والشّافعية، وقول الحنابلة، وذهب كثير من الفقهاء إلى هذا القول، فيأثم من يتركها، ولكن صلاته تكون صحيحة.

القول الرابع: هي فرض عين، وشرط لصحة الصلاة، وهذا مذهب الظّاهريّة، وبعض الحنابلة.

قال الإمام النووي، رحمه الله: " فِي حُكْمِ الْجَمَاعَةِ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ مَذْهَبَنَا الصَّحِيحُ أَنَّهَا فَرْضُ كِفَايَةٍ، وَبِهِ قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ، وَقَالَ عَطَاءٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَأَحْمَدُ وَأَبُو ثَوْرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ: هِيَ فَرْضُ عَلَى الْأَعْيَانِ لَيْسَتْ بِشَرْطٍ لِلصِّحَّةِ، وَقَالَ دَاوُد: هِيَ فَرْضُ عَلَى الْأَعْيَانِ وَشَرْطٌ فِي الصِّحَّةِ، وَبِهِ قَالَ بَعْضِ أَصْحَابِ أَحْمَدَ، وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِفَرْضِ عَيْنٍ، وَاخْتَلَفُوا هَلْ هِيَ فَرْضُ كِفَايَةٍ أَمْ سُنَّةٌ؟ وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: ذَهَبَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهَا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ لَا فَرْضُ كِفَايَةٍ"[1]، وقال ابن قدامة، رحمه الله: "الْجَمَاعَةُ وَاجِبَةٌ لِلصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، رُوِيَ نَحْوُ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي مُوسَى، وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَلَمْ يُوجِبْهَا مَالِكٌ، وَالثَّوْرِيُّ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَالشَّافِعِيُّ"[2].

1. المجموع شرح المهذب، للنووي: 4/ 189.
2. المغني لابن قدامة المقدسي: 2 /130.

العدد المطلوب لصلاة الجماعة:

صلاة الجماعة في غير صلاة الجمعة والعيدين، أقل ما تنعقد به اثنان؛ فبإمام ومأموم تتحقق جماعة، ومرجع ذلك قول النّبي، صلّى الله عليه وسلّم، لمالك بن الحويرث، وصاحبه: (أَذِّنَا، وَأَقِيمَا، وَلْيَؤُمَّكُمَا أَكْبَرُكُمَا)[1]، ولكن إن زاد عدد المصلّين فأفضل، لقوله، صلى الله عليه وسلم: (... وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَانُوا أَكْثَرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[2]، ولا يشترط أن يكونا ذكرين، وإن كان الشخص في بيته، ولم يتمكن من الذهاب إلى المسجد لعذر شرعي؛ كالمرض، أو السفر، أو الخوف، أو بعد المسافة، وغير ذلك، ولم يجد أحداً يصلي معه لينال فضل صلاة الجماعة، فيصح أن يؤم زوجته، أو أن يؤم أي امرأة من محارمه؛ وإن توافر صبي فتصح الجماعة معه أيضاً، رغم أن من الفقهاء من اشترط له البلوغ في صلاة الفريضة، قال الإمام الكاساني، رحمه الله: " وَأَمَّا بَيَانُ مَنْ تَنْعَقِدُ بِهِ الْجَمَاعَةُ، فَأَقَلُّ مَنْ تَنْعَقِدُ بِهِ الْجَمَاعَةُ اثْنَانِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْإِمَامِ وَاحِدٌ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الِاثْنَانِ فَمَا فَوْقَهُمَا جَمَاعَةٌ؛ وَلِأَنَّ الْجَمَاعَةَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ مَعْنَى الِاجْتِمَاعِ، وَأَقَلُّ مَا يَتَحَقَّقُ بِهِ الِاجْتِمَاعُ اثْنَانِ، وَسَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْوَاحِدُ رَجُلًا، أَوْ امْرَأَةً، أَوْ صَبِيًّا يَعْقِلُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمَّى الِاثْنَيْنِ مُطْلَقًا جَمَاعَةً، وَلِحُصُولِ مَعْنَى الِاجْتِمَاعِ بِانْضِمَامِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ إلَى الْإِمَامِ، وَأَمَّا الْمَجْنُونُ وَالصَّبِيُّ الَّذِي لَا يَعْقِلُ، فَلَا عِبْرَةَ بِهِمَا؛ لِأَنَّهُمَا لَيْسَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ فَكَانَا مُلْحَقَيْنِ بِالْعَدَمِ" [3]، علماً أن من منعه المرض أو العذر من الذهاب إلى المسجد، فيكتب له من الأجر مثل ما كان

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب سفر الاثنين.
2. سنن النسائي، كتاب الإمامة، باب الجماعة إذا كانوا اثنين، وحسنه الألباني.
3. كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني: 1/ 156.

يعمل، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم :(إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا)[1].

وقد رأى بعض العلماء أن صلاة الرجل جماعة بزوجته وأولاده في بيته تستوي في الفضل، أو تزيد مع صلاته في المسجد، في حال لو تركهم وذهب إلى المسجد لتركوا الصلاة، طالما يتوافر غيره من الناس من يقيم صلاة الجماعة في المسجد[2].

الفرق بين صلاة الجماعة في المسجد وغيره:

أي صلاة يصليها المرء جماعة يحصل فيها على فضل الجماعة إن شاء الله تعالى، ولو صلاها جماعة في غير المسجد، كأن يصليها في بيته، أو في مكان عمله، أو في أي مكان آخر، قال ابن قدامة عن صلاة الجماعة: " وَيَجُوزُ فِعْلُهَا فِي الْبَيْتِ وَالصَّحْرَاءِ"[3]، لكن في الوقت نفسه لا ينبغي هجر المسجد دون عذر شرعي، لتحذير النبي،صلّى الله عليه وسلّم، من ذلك في أحاديث مختلفة، منها قوله: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ، فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ، فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ، أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ، لَشَهِدَ العِشَاءَ)[4]، والعرق: عظم عليه لحم، والمرماتان: ما بين ظلف الشاة من اللحم[5]، فالحديث يتكلم على الذين يتخلفون بكثرة عن صلاة الجماعة في المسجد، وبخاصة عن العشاء، وصلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها جماعة في المسجد، للأحاديث الصحيحة التي ذكرت ذلك، وصلاتها جماعة في البيت أفضل من صلاتها منفردة شريطة ألا تؤم الرجال، وكما قلنا آنفاً

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة.
2. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني: 1/ 467، وكشاف القناع عن متن الإقناع، للبهوتي: 1/ 456.
3. المغني لابن قدامة: 2 /131.
4. صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة.
5. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، نور الدين الملا الهروي القاري: 3/ 832.

أن أجر صلاة الجماعة درجات تتفاوت وتختلف فيما بينها، إلا أن أعلاها التي في المسجد، لما تشتمل عليه من فضائل متعددة، منها أنها من هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، وسنته، وأن الصلاة في المسجد أدعى للمحافظة على صلاة الجماعة، وفي المسجد يكثر عدد المصلين؛ مما يزيد الأجر كما ذكرنا من قبل، ومنها فضل مشي المصلي إلى المسجد، فله بكل خطوة درجة، ويحط عنه بها خطيئة، وينال يوم القيامة نور الله التامّ جراء المشي إلى المسجد في الليل، ويشهد لعمار المساجد بالإيمان، والرجل الذي قلبه معلق بالمساجد يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة، ويحوز على البراءة من النار، والنفاق، لمن يحافظ على تكبيرة الإحرام، ويحصل على الأجر والبركة والحماية من الشيطان من أثر الجماعة وأدعية دخول المسجد وخروجه، وأن الملائكة تصلي عليه ما دام في المكان الذي صلى فيه، ويكون كأنه في صلاة ورباط عند انتظاره لصلاة الجماعة في المسجد، وتشهد الملائكة صلاتي الفجر والعصر، ويكتب أجر قيام ليلة كاملة لمن يصلي الفجر والعشاء جماعة في المسجد، وقيام نصف ليلة لمن يصلي العشاء وحده، ومن يصلي الفجر في المسجد يكون في ذمّة الله وحمايته من كل ما يضره خلال يومه، ومن يجلس بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس يتحصل على أجر حِجّة وعمرة، وكذلك من يحسن الوضوء، ثم يخرج ويصلي الصلاة المكتوبة في المسجد له أجر حِجّة، ويكتب أجر الجماعة لمن وصل المسجد متأخراً بعد انتهاء الصلاة لعذر شرعي، دون تقصير منه، ولو صلى وحده، والاجتماع في المسجد يزيد من التعارف، ويقوي روابط المحبة والوحدة بين المسلمين والمساواة، ففي الاصطفاف للصلاة لا فرق بين غني وفقير، وصغير وكبير، وعامل ومتعلم، فيشعر المسلم بالطمأنينة والرضا والراحة.

وسابقاً، كان للمسجد في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، أهمية كبيرة، ومكانة عظيمة، ودور رائد في الإسلام، حيث كانت تقام فيه أهم الأعمال الحيوية للمسلمين، فكان بمثابة اللبنة الأولى والأساس لقيام دولة الإسلام، لذلك كان من أول أعمال معلم البشرية رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، فور وصوله إلى المدينة المنورة بعد قدومه من مكة المكرمة خلال هجرته، بناء المسجد الذي كان لا يقتصر دوره على أداء الصلوات وقراءة القرآن فحسب، بل كان مكاناً لجمع المسلمين واجتماعهم، والتآخي فيما بينهم والصلح، وحل الخلافات، ومصدراً للدعوة والتربية، وللعلم والتعلم، والتدريب، والتخطيط والمشورة، ومركزاً لأعمال الخير المختلفة.

وفي النهاية نقول: إن المسلم الكيسّ من يحرص على صلاة الجماعة في المسجد، ولا يفوت على نفسه الثواب العظيم، فلا مقارنة بين جماعة المسجد وغيره إلا في حالات ضيقة كما ذكرنا، فلنحافظ عليها ما استطعنا، خاصة أن من العلماء من شدد على أداء صلاة الجماعة في المسجد، وأوجبها على من لا عذر له، والفَطِن من يحتاط إلى دينه، ويخرج من خلاف العلماء في هذا الأمر، فيلزمها ولا يحرم نفسه من هذه المكاسب كلها، ونقول لمن لا يستطيع الصلاة في المسجد جماعة: احرص أن تصليها جماعة في أي مكان كان، حتى تحصل على فضل صلاة الجماعة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد أحمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. توكيل شركة بحفر بئر ماء صدقه عن ميت

السؤال: أرغب في إنشاء سقيا ماء صدقة جارية عن روح والدتي المتوفاة، وذلك بتوكيل إحدى الشركات بحفر بئر باسمها في أحد بلاد المسلمين النائية، مثل الهند وبنغلادش بأسعار جيدة، حيث يقومون بتصوير المراحل وكل شيء، لكن لا يوجد لديّ أي ضمان أن هذه الشركة موثوقة وليست شركة نصب، يعني ممكن البئر نفسه يضعون عليه أسماء مختلفة، فهل في هذه الحالة إذا أرسلت إليهم النقود لحفر البئر تعد صدقة جارية، ويصل أجرها وثوابها لوالدتي؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فحفر الآبار لسقيا الماء من الصدقة الجارية، والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ، إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)(*)، قال الكاساني: "الموت لا يمنع التقرب عن الميت، بدليل أنه يجوز أن

*صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

يتصدّق عنه، ويحجّ عنه، وقد صح عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ (ضَحَّى بِكَبْشٍ، فَقَالَ: هَذَا عَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي)[1]، فدل أن الميت يجوز أن يتقرب عنه، فإذا ذُبح عنه صار نصيبه للقربة، فلا يمنع جواز ذبح الباقين"[2].

وعليه؛ فتجوز الصدقة عن الميت، وتصل إليه إن شاء الله، ومن ذلك حفر الآبار لسقيا الماء عنه، سواء نفذ تقديمها المتصدق نفسه أم وكيله، مع ضرورة الحرص على أن يكون الوكيل ثقة، سواء أكان فردًا أم هيئة، من بلد المتصدق أم من غيره، وينبغي الحذر من الوقوع في مصائد النصب والاحتيال، فالأمر يحتاج إلى فطنة وحيطة وبحث، والله تعالى أعلم.

2. حكم استمرار الزواج ممن كان مسلماً وارتد عن الإسلام

السؤال: تزوجت مسلماً، وبعد فترة ارتد عن دينه، فهل زواجي باطل؟

الجواب: الدين عند الله الإسلام، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ}(آل عمران: 19)، ويقول سبحانه: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(آل عمران: 85)، وهذا يعني أن المسلم إذا بدل دينه بدين آخر، وكان مستوفياً لشروط الأهلية كافة، وهي أن يكون بالغاً، عاقلاً، غير مكره، فهو في هذه الحالة مرتد عن الإسلام، وخارج عن الملة، والعياذ بالله، ولا يجوز للمرتد الزواج من مسلمة أو بقاء زوجته المسلمة على ذمته؛ لاختلاف الدين؛ لأن الأصل تحريم زواج المسلمة من غير المسلم، لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ}(الممتحنة:10)، وقوله تعالى:{وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ

1. سنن الترمذي، كتاب الأضاحي، باب ما جاء أن الشاة الواحدة تجزي عن أهل البيت، وصححه الألباني.
2. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: 5/ 72.

وَلَـوْ أَعْجَبَكُـمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُـونَ إِلَى النَّـارِ وَاللّـهُ يَدْعُـوَ إِلَى الْجَنَّـةِ وَالْمَغْفِـرَةِ} (البقرة:221)، وعلى الزوجة الحرص على بذل الجهود لهداية زوجها إلى التوبة والرجوع إلى الله تعالى، لعل الله يهديه، ويمن عليه بواسع رحمته، فإن أصر على الكفر، فعليها رفع أمرها إلى القاضي ليفرق بينهما، والله تعالى أعلم.

3. كيفية التعامل مع مقاطعة الأقارب

السؤال: ما حكم قطع صلة الرحم مع الأقارب الذين يتسببون في الإيذاء؟

الجواب: أوصى الله تعالى عباده بصلة الأرحام، فقال سبحانه: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (النساء: 1)، وحذر سبحانه من قطيعة الأرحام، فقال: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} (محمد: 22 - 23).

ولا يجوز للمسلم أن يقطع رَحِمه، ولو قاطعوه هم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: (يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ)[1]، وفي الحديث الآخر، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا)[2].

وصلة الرحم لا تقتصر على الزيارة وحسب، بل تكون أيضاً بالسلام، والاتصال، والهدية، والمال، وسائر صور الإحسان، مع التنبيه إلى أن صلة الرحم تشمل الذكور والإناث منهم، والمرأة تأثم بقطع الصلة برحمها الرجل، مثلما يأثم هو إن قطعها، قال القاضي عياض: "الصلة درجات، بعضها فوق بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصِلَتُها ولو بالسلام، وهذا بحكم القدرة على الصلة وحاجتها إليها، فمنها ما يتعين ويلزم، ومنها ما يستحب ويرغب فيه،

1. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا.
2. صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابٌ لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ.

ولا يعد من لم يبلغ أقصى الصلة قاطعًا، ولا من قصّر عمّا ينبغي له، ويقدر عليه واصلًا" [1].

وعليه؛ فينبغي لكم أن تحرصوا على صلة أرحامكم قدر الإمكان، خاصةً في المناسبات التي يجري فيها التواصل بين الناس، كالأعياد، وأن تحضروا مناسباتهم ما استطعتم، وألا تقابلوا تقصيرهم بالتقصير في حقهم، بل تدفعون بالتي هي أحسن، فإن عملتم ذلك، فلا تعدُّون من صنف المتشاحنين الذين لا ترفع أعمالهم، والله تعالى أعلم.

4. السمسرة لبيع عقار إلى بنك

السؤال: أعمل في العقارات وسيطاً (سمسار)، ومنذ يومين أخبرني صديق أن هناك بنكاً ربوياً يريد شراء أرض بلح للاستثمار الزراعي، ويتلخص دوري بالوساطة بين صاحب الأرض والبنك، فما حكم ما سآخذه من مكافأة كسمسار في هذا البيع؟ علماً أني سوف أتقاضاها من صاحب الأرض بنسبة متعارف عليها من ثمنها.

الجواب: الله تعالى حرم الربا؛ بقوله سبحانه: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} (البقرة: 275)، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، ومن السبع الموبقات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ) [2]، ولا يجوز تأجير عقار أو بيعه إلى طرف يعلم مسبقاً أنه سيستخدمه في أعمال محرّمة؛ لأن في ذلك تعاوناً على الإثم والعدوان، والله تعالى يقول: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة: 2)، وعن جَابِرٍ، رضي الله عنه، قال: (لَعَنَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، آكِلَ الرِّبَا ومؤكله وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ، وقال هُمْ سَوَاء)[3]؛ فالشاهدان معاونان على الإثم، وهو ما تضمنه قرار مجلس الإفتاء الأعلى رقم: 1 /112 بتاريخ 26 /12 /2013م.

1. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: 8 /10.
2. صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رمي المحصنات.
3. صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله.

وعليه، فالمعاملة الموصوفة في السؤال إن تخللها التعامل بالربا أو خدمة مثل هذا التعامل، فتحرم، للقاعدة الفقهية (للوسائل حكم المقاصد) [1]، وما يفضي إلى الحرام فهو حرام، وقد جاء في المغني: " ولا يجوز للرجل إجارة داره لمن... يتخذها لبيع الخمر أو القمار" [2]، والله تعالى أعلم.

5. الصدقة على الزوجة

السؤال:هل تجوز صدقة التطوع على الزوجة؟

الجواب: النفقة بالمعروف واجبة للزوجة على زوجها في الطعام، والمسكن، والملبس، والعلاج، لقوله تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} (الطلاق:7)، وللزوج الأجر العظيم على ما يقدمه لعياله، ومن ضمنهم زوجته، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ). [3]

وكل ما يقدمه الزوج لزوجته من خير يعد من الصدقة،حتى اللقمة التي يضعها في فمها، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم:(إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ)[4]، والله تعالى أعلم.

وهو سبحانه يقول الحق وهو يهدي السبيل

1. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، لمحمَّد بْن حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني: 1 /279.
2. المغني: 5 /321.
3. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْعِيَالِ وَالْمَمْلُوكِ وَإِثْمِ مَنْ ضَيَّعَهُمْ أَوْ حَبَسَ نَفَقَتَهُمْ عَنْهُمْ.
4. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى.

العهـدة العمريـة ومحاولات التشـويه والتزوير

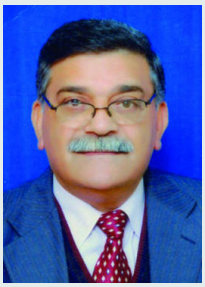

د. محمد بحيص عرامين
رئيس الأرشيف الوطني الفلسطيني سابقاً

مقدمة:

يظـل العهـد أو ميثـاق الأمـان المشـهور الـذي منحـه الخليفـة عمـر بـن الخطـاب، رضي اللـه عنـه، لأهـل "إيليـاء"[*]، مـن أرقى المواثيـق وأعظمهـا بإجمـاع المؤرخـين عربـاً وعجمـاً طيلـة قـرون طويلـة مـن الزمـن، ليـس في نصّـه ومحتـواه وحسـب، بـل في دقـة تطبيقـه عـلى أرض الواقـع، مـا شـكّل نموذجـاً حضاريـاً للتسـامح الديـني، امتـدت آثـاره الإيجابيـة إلى مـا هـو أبعـد مـن حـدود فلسـطين وبـلاد الشـام، وأضحـى مثـالاً يحتـذى في معظـم الأقطـار والمجتمعـات العربيـة والغربيـة.

أهمية العهدة العمرية:

تكمـن أهميـة العهـدة العمريـة في أنهـا مـيّزت الفتـح العـربي الإسـلامي للمدينـة المقدسّـة عـن غـيره مـن الغـزوات والحمـلات، باعتبـاره فتحـاً سـلمياً، لـم تـرق فيـه قطـرة دم واحـدة، ولـم تتعـرض خلالـه المدينـة لأحـداث جسـام، ودمـار ومجـازر ونكبـات ونكسـات عرفتهـا المدينـة، بـدءاً مـن اغتصابهـا عـلى يـد بـني إسرائيـل مـن أصحابهـا اليبوسـيين الكنعانيـين، بالحديـد والنـار، ومـروراً بالمجـازر المروّعـة عـلى يـد الفـرس والـروم، ومـن ثـم الحمـلات الصليبيـة، وانتهـاء بالاحتـلال الإسرائيـلي للشـطر الغـربي للمدينـة عـام 1948م، واحتـلال مـا تبقـى منهـا في العـام 1967م.

*هو الاسم الذي كان يطلق على القدس زمن الحقبة البيزنطية- في سنة 15 هـ/636م.

بعض الحقائق التاريخية، والظروف التي أحاطت بالعهدة:

لـم تسـلم العهـدة العمريـة مـن الـدّس والتزويـر غـير المتفـق مـع حقائـق التاريـخ والجغرافيـا، أو علـم الآثـار، ولعـلّ ذلك يشـكّل حافـزاً للمفكريـن والكتّـاب والمؤرخين العـرب للتصدي لهـذا النهـج التدميري الحاقـد، بالدليـل العلمي، وبمزيـد مـن الدراسـات الـتي تعتمـد منهـج تحقيـق النصـوص أساسـاً لهـا، لتنقيـة مـا علـق بتاريخنـا وتراثنـا مـن روايـات مدسوسـة، ونشرهـا وبلغـات مختلفـة، والاسـتعانة بالتقنيـات الحديثـة الـتي جعلـت مـن العالـم، كمـا يقـال قريـة صغـيرة، وفي مقدمـة تلـك الحقائـق:

أولاً: تلـك الفـترة مـن تاريـخ الإمبراطوريـة البيزنطيـة وصلتهـا بالفتـح الإسـلامي، وبالقبائـل العربيـة المنتـصرة، تعـدُّ مـن أشّـد أزمـان التاريـخ تعقيـداً، مـا جعـل كثـيراً مـن المسـائل الـتي نشـأت حـول هـذا الـدور البيزنطـي العـربي عرضـة إلى آراء متضاربـة ومتغايـرة.

ثانيـاً: لقـد كان لانتشـار أنبـاء هزيمـة جيـش هرقـل، الـتي وصلـت إليـه وهـو في أنطاكيـا، وقد فتـح العـرب "بـصرى" عاصمـة بـلاد الشـام القديمـة، جعلتـه يتيقّـن بـأن الأمـر قـد أفلـت مـن يـده، ممـا اضطـره إلى الرحيـل إلى القسـطنطينية، مودعـاً بـلاد الشـام.

ثالثـاً: نجـح العـرب في فتـح جـلّ جنـد فلسـطين، الـذي كان يمتـد مـن رفـح جنوبـاً، إلى اللجّـون شـمالاً - قبـل فتـح مدينـة القـدس.

رابعـاً: لـم يكـن في نيّـة العـرب الاسـتيلاء عـلى القدس(إيليـاء) بالقـوة العسـكرية في بدايـة الأمـر، فقـد أرسـل أبـو عبيـدة عامـر بـن الجـراح لأهلهـا كتابـه المشـهور، وهـو في الأردن، حيـث عسـكر بجنـوده هنـاك، فرفـض أهـل إيليـاء أن يأتـوه ويصالحـوه، مـا دفعـه إلى محـاصرة المدينـة، ولـم تكـن للعـرب آنـذاك خـبرة في الحصـار، أو المعـدات الخاصـة بـدك الأسـوار، فـولّى إمـرة الجيـش لخالـد بـن الوليـد، ويزيـد بـن أبي سـفيان.

خامساً- بعد مضي شتاء سنة 15هـ/ 636م طلب أهل المدينة الصلح والأمان من أبي عبيدة، بعد أن يئسوا من نجدة الروم لهم، واشترطوا أن يكون المتولي للعقد لهم الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الذي سارع إلى الاستجابة لمطلبهم، وسار إلى "الجابية" وهي قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان في شمالي حوران، حيث لقيه قادة الجيش الإسلامي؛ أبو عبيدة، وخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان[1]، قبل وصول وفد أهل "إيلياء"، حيث كتب لهم الصلح، أو العهدة المشهورة، التي جاء فيها ما نصّه:

(بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيـمِ: هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم: سقيمها وبريئها وسائر ملّتها، إنه لا تسكن كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من خيرها، ولا من صلبهم، ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولايضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية، كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية!

ومن أحبّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم، وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، فمن شاء منهم قعد، وعليهم مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الرّوم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتّى يحصدوا حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله، وذمّة الخلفاء، وذمّة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، ومعاوية ابن أبي سفيان)[2]، وكتب وحضر سنة خمس عشرة.[3]

1. الحسيني، محمد يونس، التطور الاجتماعي في فلسطين، 1946م، ص: 45.
2. الجامع الصحيح للسيرة النبوية،، 4/ 1754.
3. الحسيني، التطور الاجتماعي في فلسطين،ص: 46.

سادساً: خروج صفرونيوس لمقابلة عمر بن الخطاب الذي ثبّت له الصلح، ودخلا سوياً المدينة، برفقة أربعة آلاف من الصحابة الأبرار.

سابعاً: عند الفتح كان سكان المدينة من المسيحيين العرب، وبعض الروم، ومن نفر قليل جداً من اليهود، ممن هربوا أو اختفوا عندما أمر هرقل بإجلائهم عن بيت المقدس.

ثامناً: إن طلب إخراج اليهود والروم من المدينة، كما ورد في نص العهدة، لم يكن من عند عمر، رضي الله عنه، بل استجابة لرغبة الرهبان والقساوسة المسيحيين من أهل المدينة.

محاولات التشويه والتزوير:

لتعكير صفو هذا التعايش البديع بين أصحاب الديانات السماوية في بيت المقدس خاصة، وفلسطين بعامة، فقد انطلقت حملة شرسة وبغيضة بدعم من الحركة الصهيونية العنصرية وتمويلها، منذ أواخر القرن الثامن عشر، وامتدت إلى يومنا الحاضر، وأخذت تبث سمومها من خلال نشر العديد من الدراسات والأبحاث على يد كتّاب صهاينة وبعض المستشرقين القريبين من وجهة نظرهم، هدفت إلى تزوير مكوّنات ثقافتنا وعناصرها، وحضارتنا العربية والإسلامية وتشويهها، والنيل من تراثنا الفكري، الذي أضاء الطريق للعالم بأسره، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تغرق في ظلمات الجهل والمرض، وأصابت العهدة العمرية حصّة لا بأس بها من التزوير والافتراءات والأكاذيب، والدسّ بين المسلمين والمسيحيين.

من مظاهر التشكيك بالعهدة العمرية إطلاق مسميات متعددة لها باللغة الإنجليزية، تتراوح بين تسميتها تارة بالعهد (Pact of Umar) وتارة أخرى بالمعاهدة(Treaty)، وأخرى بالشروط (Conditions of Umar)، وأحياناً بقوانين عمر(Laws of Umar)، ويتضح الهدف من وراء ذلك، بشكل جلي، وهو خلق حالة من البلبلة والخلط بينها وبين ما أعطي للمسيحيين في بلاد

الشام من عهود، إذ إن كل تسمية تعكس مضامين مختلفة بعض الشيء عن الأخرى، وقد تجلّى ذلك في تعريف العهدة، وفي تحديد مكان عقدها، كما ورد في أحد المصادر الأجنبية، بأنها (أي العهدة) "معاهدة مشكوك في صحّتها، عقدت بين المسيحيين والمسلمين، إما في سوريا أو في مكان آخر، وربما في القدس.." [*]، ويمضي ذات المصدر مدّعياً بأن هناك نصوصاً كثيرة، متغايرة يختلف كل واحد منها عن الآخر في نصّه ومضمونه، ما يتيح المجال لأكثر من تفسير، بهدف - كما يقول المصدر -"... إعطاء الحق للمسلمين للتملّص من تطبيقها على أرض الواقع، كما هو الحال في النصوص الحديثة للمعاهدات بين الدول."

ثم ينتقل إلى التشكيك بمن أصدر هذه العهدة أو كتبها، ويتساءل بخبث بيّن .. هل هو عمر بن الخطاب، ثاني الخلفاء الراشدين في القرن السابع؟ أم أن عمر بن عبد العزيز، الخليفة الأموي في القرن التاسع المقصود هنا؟!!

ثم يذهب مؤلف هذا المصدر إلى أبعد من ذلك ضمن دائرة التشكيك، حيث ادّعى استناده إلى ما قاله "ابن تيمية" في هذا الشأن بأن النسخة الأصلية للعهدة تمنح الحق لأهل الذمّة "dhimmis" في عدم الالتزام أو الانصياع لما ورد فيها، إذا ما وافقوا على الانخراط في الجيش الإسلامي، والقتال في صفوفه، معللاً ذلك إلى انتقالهم - في حالة دخولهم في صفوف الجيش الإسلامي إلى مرتبة "الحُماة"، وبذلك تنتفي عنهم صفة المشمولين بالحماية، والذي يحمله مصطلح" أهل الذمّة". ولم يتسنَ لي التأكد من صحة هذا الأمر أو عدمه، وذلك لأن المؤلف لم يذكر المرجع الذي استقى منه هذه المعلومة، ما يعمّق إيماننا بأن ما يجري هو إعادة إنتاج منهج غير علمي يصب في مجرى تيار التشكيك، والتزوير للحقائق.

* آنفر إيمون، 2012، العلمانية الدينية والقانون الإسلامي، جامعة أكسفورد.

دحض آراء تشكك في العهدة العمرية:

على الرغم من وجود بعض التباين في الآراء بين الكتّاب الغربيين، خاصة فيما يتعلق بالنص الأصلي للعهدة، ومنهم (آنفر إيمون)، الذي يتبنى فكرة الصعوبة في تحديد الخليفة الذي أصدر هذه العهدة، كما أشرنا سابقاً، نجد (تريتون) يصف العهدة بأنها مختلقة من أساسها، ولا وجود لها، ودليله على ذلك أنه لو كانت موجودة فعلاً لما تردد المسلمون "الغزاة" في تطبيقها على رعاياهم من غير المسلمين، في الفترة التي أعقبت حكم الخلفاء الراشدين.

وفي المقابل يعترف الكاتب (أرنولد توماس) بأن العهدة تنسجم مع ما عرف عن عمر بن الخطاب من المعاملة الطيبة مع اتباع الديانات الأخرى، فيما يذهب مصدر غربي آخر بعنوان " عهدة عمر، القرن السابع- أوضاع غير المسلمين تحت الحكم الإسلامي" إلى أن الانتشار السريع للإسلام في القرن السابع فرض على القادة المسلمين البحث عن حل لكيفية التعامل مع غير المسلمين، الذين شكّلوا أقلية في المجتمع الإسلامي، فوجدوا ضالتهم في "...تطوير مصطلح "أهل الذمّة" أي المشمولين بالحماية، أشبه ما يكون بالأسلوب الذي طبقته أوروبا المسيحية مع غير المسيحيين."[*] والمقصود طبعاً "اليهود" متجاهلاً بل مستخفاً بعقول القرّاء، الذين لن يحتاجوا إلى كبير عناء لاكتشاف الفجوة الزمنية الطويلة التي تفصل بين الحادثتين، حيث إن العهدة العمرية سبقت ما حدث لليهود في أوروبا بما يزيد عن ألف وثلاثمائة عام، ما يكشف زيف تلك الادعاءات والأكاذيب التي تهدف دون أدنى شك إلى الدسّ بين المسيحيين والمسلمين، وإمعاناً في قلب الحقائق، والمضي قدماً في طريق التشويه والتزوير المقصودين إلى أقصى مدى ممكن.

فقد ركّز مؤلف هذا الكتاب على رواية شفهية سمعها بعضهم من "عبد الرحمن ابن غانم" المتوفى في 78 هـ، وفق 697 م، من أن المسيحيين في سوريا حينما طلبوا من عمر ابن الخطاب منحهم عهداً أو صلحاً، وضعوا على أنفسهم شروطاً قبلها الخليفة عمر،

* بول هالسال، 2007، عهدة عمر، القرن السابع عشر، أوضاع غير المسلمين تحت الحكم الإسلامي.

وأبرزها تعهدهم بعدم التعرّض للمسلمين، والغدر بهم، ومن يفعل ذلك عامداً متعمّداً، فإن المسلمين في حلّ من أمر حمايته، ويضيف بأن هذا الشرط قد أورده "الطرطوشي[1]" في الصفحات 229 - 230 في كتابه "سراج الملوك".

وقبل مغادرة مربع التشكيك المتعلق بالنص الأصلي للعهدة، فإننا نجد من يدعّي ومن على الموقع الإلكتروني العالمي "ويكيبيديا" أن الكاتب ماهر أبو منشار يقول في هذا الشأن: إن الوثيقة الأصل هي تلك الاتفاقية التي أُبرمت بين المسلمين "الغزاة" ومسيحيي الجيزة أو دمشق، حيث تم تعميمها فيما بعد على أهل الذمّة في مناطق أخرى."، وذلك في كتابه باللغة الإنجليزية، بعنوان (القدس الإسلامية ومسيحييها: تاريخ من التسامح والتوتر)، ولدى رجوعنا للكتاب المذكور، وجدنا الكاتب يقول في مقدمته: إن الهدف من وضعه هو نقاش معاملة المسلمين للمسيحيين في القدس، والمناطق الأخرى المجاورة من الدول الإسلامية، خلال الفترتين العمرية والصلاحية، عن طريق إبراز مواقف الخليفة عمر بن الخطاب، والقائد المسلم صلاح الدين الأيوبي، وسياستهما تجاه غير المسلمين، مؤكداً في الوقت نفسه على أن هذين القائدين قد خلقا جوّاً مثالياً للتسامح والتعايش السلمي بين اتباع الديانات المختلفة، ما مكّن المسيحيين واليهود من العيش سوياً بسلام، بعد عقود من العداء والكراهية، ومعتبراً القدس نموذجاً للتعايش بين الثقافات المختلفة (model for multiculturalism)[2].

---

1. هو أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، ولد عام 451هـ في مدينة طرطوشة الأندلسية، وهو من مشايخ المالكية، قامع البدع في مصر أيام الفاطميين، تلقىّ علومه في جامع المدينة الكبير، وتتلمذ على أستاذه الباجي، خرج في رحلة علمية إلى المشرق، ومكث فيه طيلة حياته، رحل إلى الشام، ودخل بيت المقدس، ودمشق وحلب، وكذلك أنطاكيا، وانتقل إلى مصر سنة 490هـ، وصفه العلاّمة أبو بكر العربي، بأنه عالمٌ فاضل زاهد، كثير الانتقاد للحكّام والوزراء في عصره، وقد جرّ عليه هذا الموقف ملاحقة الفاطميين له ولأمثاله من علماء السنّة، وتشريدهم وقتلهم وإيذائهم، خاصة في الإسكندرية، مكان إقامته، قبل أن يرحل إلى القاهرة لهداية الوزير الطاغية "شاه شاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي" زمن الدولة العبيدية، وقد ضاق به الوزير بسبب ما أحدثه من نهضة كبيرة؛ لاهتمامه بالقرآن والسنّة والفقه، فعاقبه بتحديد إقامته في القاهرة القديمة (الفسطاط)، ومنع الناس من الاتصال به، والأخذ عنه، وذلك في سنة 511هـ، ويؤكد بعض المؤرخين بأن كتابه "سراج الملوك" لا يزال من مقتنيات المكتبة المحمودية بالقاهرة.

2. أبو منشار، ماهر يونس، 2007، القدس الإسلامية ومسيحييها، تاريخ من التسامح والتوتر، لندن.

وعن الدافع الذي جعله يختار هذا الموضوع لبحثه الأكاديمي، بيّن ذلك في سببين رئيسين:

الأول: يكمن في تقصير المؤرخين والفقهاء المسلمين الأوائل في تناول المعاهدات والمواثيق المهمة، وبالأخص العهدة العمرية، والصلح الذي منح للمسيحيين من قبيلة بني تغلب، واكتفوا بتسجيل الأحداث التاريخية، دون تحليلها بمنهج نقدي، والتركيز على المعاملة التي حظي بها المسيحيون خلال الفتح الأول، وبعدهما الثاني للقدس.

أما السبب الثاني، فيتمثّل في رغبة الكاتب، كما يقول، في سد الفراغ الناجم عن ندرة الأبحاث الأكاديمية حول القدس بصورة عامة، من وجهة النظر الإسلامية، في مقابل الدراسات العديدة التي جرى وضعها من قبل مستشرقين أجانب، وكتّاب إسرائيليين، عمدوا إلى تزييف تاريخ المدينة المقدسة، وتزويره خلال الفترتين المشار إليهما، عن طريق الادّعاء بأن المسلمين مارسوا سياسة عدائية مع غير المسلمين خلالهما، غير أن المؤلف وللأسف الشديد وقع في شرك "التعميم" المفتقر إلى الأدلة الدامغة، والمخالف للمنهج العلمي في البحوث التاريخية وغيرها، واضعاً نفسه في الفئة ذاتها من المؤرخين الأوائل، الذين أخذ عليهم التقصير في تحليل الأحداث التاريخية بمنهج نقدي، كما أسلفنا سابقاً، وذلك حين أطلق حكماً عامّاً، حيث صرّح بأن اتباع المذهبين الحنفي والمالكي كانوا أكثر رفقاً ولیناً في تعاملهم مع غير المسلمين، مقارنة مع اتباع المذهب الشافعي والحنبلي، والذين وسمهم بالتشدّد والتزمت في تعاملهم[*].

ويبدو لنا أن الكاتب لو اعتمد على مسألة بعينها، وأجرى تلك المقارنة، لكان ذلك أقرب إلى العقل والمنطق، فليس من العدل إطلاق حكم عام، وسحبه قسراً على مذهب أو أكثر.

* أبو منشار، ماهر يونس، 2007، القدس الإسلامية ومسيحييها، تاريخ من التسامح والتوتر، لندن.

بمناسبة الذكرى الأليمة الثانية والخمسين
لإحراق المسجد الأقصى المبارك 21 /8/ 1969 م

القدس والأقصى في منهاج اللغة العربية الفلسطيني

أ.يوسف عدوي
باحث وكاتب ومحاضر جامعي

مقدمة :

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، الحمد لله الذي بارك المسجد الأقصى وما حوله، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، الذي أُسري به إلى المسجد الأقصى، ومنه عرج إلى السماوات العلا، وعلى آله وصحبه، ومن تبعه، واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد؛

فعند الحديث عن القدس والمسجد الأقصى، لا بدَّ من ولوج أبواب متعددة، والخوض في مضامين شتى، وموضوعات متنوعة، إنها القدس التي تعجز الموسوعات عن الإحاطة بها، والكلام عنها، فهي مدينة الإسلام، والسلام والعروبة، وبوابة السماء، والمحبة، والإخاء، ومركز الإشعاع الروحي للدين الإسلامي، والتي ارتبطت بالمسجد الأقصى المبارك، الذي وضعه الله تعالى في الأرض بعد أربعين سنة من وضع المسجد الحرام.

القدس مدينة ضاربة في أعماق التاريخ، بناها أجدادنا اليبوسيون، واحتلها أقوام، وجماعات عبر تاريخ طويل، يمتد إلى أكثر من(5000) سنة، منذ بناها العرب اليبوسيون، وآخر احتلال لها، والذي سيزول قريباً بإذن الله تعالى ومشيئته، هو الاحتلال الصهيوني، والذي كان على مرحلتين: سنة 1948م، حيث تم احتلال ما يعرف بالقدس الغربية، وسنة 1967م احتل ما يعرف بالقدس الشرقية، حيث المسجد الأقصى المبارك، وكنيسة القيامة.

ولأهمية القدس، اعتبرت الدول الاستعمارية أنها رمز الإسلام، والعروبة، وأنها القلب النابض للأمة، فلا بد من وضع الخطط، لتقليل نبضات القلب رويداً رويداً، حتى يتوقف هذا القلب، لهذا تمت زراعة الكيان الصهيوني في فلسطين، وكان هذا التخطيط الأوروبي الغربي سنة 1905م، بتشكيل جبهة متقدمة في فلسطين تحمي الوجود الأوروبي الغربي، وهذا ما أكده نتنياهو رئيس وزراء الكيان الصهيوني المحتل في العدوان الأخير على الشعب الفلسطيني خاصة على قطاع غزة (أيار/ 2021)، عندما قال موجهاً خطابه لأوروبا عليكم حمايتنا والوقوف إلى جانبنا؛ لأننا خط الدفاع المتقدم لكم، يقصد بذلك مشروعهم الاستعماري الغربي لتفتيت شعوب المنطقة العربية والإسلامية والسيطرة عليها، ونشر الفتنة فيما بينها.

في مقالي هذا سأتناول واقع المدينة المقدسة والمسجد الأقصى المبارك، وحضورهما في منهاج اللغة العربية الفلسطيني من الصف الأول حتى الصف الثاني عشر.

منهاج اللغة العربية الفلسطيني:

يتفق الجميع في أن المناهج الدراسية الفلسطينية تعكس حالة المجتمع، وصورته، وثقافته، وحاجاته، وتطلعاته الآنية والمستقبلية، ويعبر بما تحويه من قيم، واتجاهات، ومفاهيم عن رؤية الدولة الفلسطينية في القضايا الأساسية والمصيرية للشعب العربي الفلسطيني، وعلى رأس هذه القضايا: القدس عاصمة الدولة الفلسطينية.

المنهج في اللغة: الطريق الواضح، والخطة المرسومة.(*)

ويعرف المنهج اصطلاحاً: بأنه مجموعة الخبرات المخططة التي تهيئها المدرسة، وتقدمها إلى الطلبة، سواء أكان ذلك في داخل المدرسة أم في خارجها؛ لغرض تحقيق النمو الشامل لشخصية المتعلم في المجال العقلي، والجسمي، والوجداني، وبناء تلك

* المعجم الوسيط، مادة نهج، ص957.

الشخصية بموجب أهداف تربوية محددة، وخطة علمية تؤدي إلى تعديل سلوك المتعلم،[1]

والكتاب المدرسي الذي يعد وسيلة تنفيذ المنهج يُعرَّف: "بأنه الوعاء الذي يحتوي على الخبرات غير المباشرة التي تسهم في جعل المتعلم قادراً على بلوغ أهداف المنهج المحدد سلفاً".[2]

من أهداف تدريس اللغة العربية:

اللغة العربية هي لغة القرآن الذي حفظها من الاندثار والتشرذم، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ} (الحجر: 9)، فهي الوعاء الحافظ للمعارف والعلوم التي تحمل كل النواتج الذهنية والعقلية الصادرة عن الفكر، وهي وسيلة الاتصال بين أفراد المجتمع، ووعاء ثقافته، وبها يحقق الفلسطيني كل أسباب التفاعل النشط، والانسجام التام في المجتمع،لهذا فللغة العربية أهمية كبيرة في الحفاظ على هويتنا الفلسطينية العربية، وثقافتنا، وتراثنا الفلسطيني العربي الإسلامي.

ومن أهداف تدريس اللغة العربية لطلبتنا إلى جانب الأهداف اللغوية:

- تأصيل أسس العقيدة الإسلامية السمحة.
- ترسيخ المثل العليا، والمبادئ الفكرية، والروحية، والوطنية في نفوس الطلاب.
- تعزيز الانتماء للوطن، والمحافظة على هويته وثقافته.
- تنمية حب الأماكن الدينية والتاريخية والتراثية في الوطن.

مهارات اللغة العربية:

للغة العربية أربع مهارات رئيسة، وهي الاستماع، والقراءة، والتحدث، والكتابة، ويتفرع من هذه المهارات الرئيسة مهارات فرعية كثيرة، تتضمنها الكتب الدراسية في اللغة العربية، من الصف الأول حتى الثاني عشر، حسب الصفوف والمستويات، وتُعرض هذه المهارات بنوعيها الرئيسة والفرعية في الكتب: كالقراءة الجهرية، والقراءة الصامتة، وقراءة الاستماع، والخط، والإملاء، والنحو، والصرف، والتعبير الكتابي، والتعبير الشفوي، والأدب، والبلاغة، والنقد.

1. تحليل محتوى اللغة العربية، أ.د. عبد الرحمن الهاشمي، ود. محسن عطية. ص31.
2. المنهج المدرسي في القرن الحادي والعشرين، أ.د. جودت سعادة، ود. عبد الله إبراهيم، ص351.

القدس والأقصى في الكتب الدراسية في المنهاج الفلسطيني للغة العربية(*):

أجريت دراسة مسحية على كتب اللغة العربية جميعها، من الصف الأول حتى الصف الثاني عشر، والتي أعدتها وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، والبالغ عددها (25) كتاباً مدرسياً وتحوي على (3285) صفحة، وتشتمل على مهارات اللغة العربية المعروفة، بهدف البحث عن حضور مدينة القدس والمسجد الأقصى في هذه الكتب الدراسية، وآثرت أن أحصي عدد مرات ذكرها، كذلك الصيغة أو الهيئة التي جاءت عليها.

كتب الصفوف من الأول حتى الثالث:

ورد في كتاب الصف الأول الجزء الأول، نشيد (نغني) صفحة (89) في مطلع النشيد:

والقدس نحميها بالعين والهمم

وكتاب الجزء الثاني لم أجد فيه ما يشير إلى مدينة القدس.

كذلك الصف الثاني لا ذكر للقدس في كتاب الجزء الأول، أما كتاب الجزء الثاني في درس قراءة الاستماع (زيارة إلى مدينة القدس) وفي درس الإملاء المنظور صفحة (31) جملة :" سكن كريم في بيت قديم في القدس" وفي درس التدريبات اللغوية صفحة (58) جملة :" هو زار مدينة القدس، وهي زارت مدينة القدس" وجملة " صلى هشام في المسجد الأقصى" وفي أنشودة (لن نرحل) صفحة (32) : " أكرم جاري، أحرس قدسي".

أما كتاب الجزء الأول للصف الثالث، في مهارة الخط صفحة (122) " من مدن فلسطين، القدس" وفي الإملاء صفحة (52) : هتف الأولاد: " القدس لنا" وفي كتاب الجزء الثاني في التدريبات اللغوية: " القدس التي بارك الله فيها عاصمة فلسطين" صفحة (72) .

* وزارة التربية والتعليم الفلسطينية (2020) كتب اللغة العربية للصفوف (1 - 12) رام الله، فلسطين.

كتب الصفوف من الرابع حتى السادس:

كتاب الصف الرابع، الجزء الأول: درس " جولة في مدينة القدس" صفحة (46)، ذكرت القدس والمسجد الأقصى ثلاث عشرة مرة في الدرس، وقصيدة :" أجل إني من القدس" للشاعر هارون هاشم رشيد، صفحة (54)، وفي قراءة الاستماع " خذني إلى القدس العتيقة" ذكرت فيه الأماكن المقدسة، مثل: المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، وكنيسة القيامة.

وفي الجزء الثاني إشارة إلى القدس في أنشودة: " صباح الخير يا وطنا" (في كتاب الله ذكرك آية تتلى. وأنت الخير يا بلدي) صفحة (114)، وفي درس الإملاء جملة " ما عاصمة دولة فلسطين؟" صفحة (134) وفي التدريبات اللغوية، جملة " القدس عاصمة فلسطين" صفحة (152) .

الصف الخامس، الجزء الأول: وردت جملة: " ولم يترك فلسطين إلا بعد أن زار القدس، وصلى في المسجد الأقصى، وفي مسجد عمر بن الخطاب" في درس القواعد اللغوية صفحة (18) وفي الإملاء وردت جملة" بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة" صفحة (38)، وجملة: " القدس زهرة المدائن، وعاصمتنا الأبدية " في الإملاء صفحة (77).

وفي كتاب الخامس، الجزء الثاني: في درس القواعد صفحة (79) " القدس محتلة " كذلك جملة " ساحات المسجد الأقصى فسيحة" في الصفحة نفسها، وفي قراءة الاستماع صفحة (9) حول قرية دير ياسين، ذكرت مدينة القدس في الدرس مرة واحدة".

كتاب الصف السادس، الجزء الأول: في الإملاء صفحة (14) جملة: " أنا أرابط في المسجد الأقصى" وفي القواعد صفحة (91): جملة : " القدس والخليل مدينتان فلسطينيتان" وجملة : " ترغب أختي في دارسة الطب في القدس والقاهرة" .

وفي كتاب السادس، الجزء الثاني: في (نفرق في المعنى) صفحة (8) جملة : " فتهدي له- المسجد الأقصى- زيتاً يسرج فيه" وفي القواعد صفحة (23) جملة " دافع الفلسطينيون عن المسجد الأقصى" وجملة :" القدس عاصمة فلسطين" وفي الإملاء صفحة (85) جملة :" القدس مدينة عريقة، وهي بوابة السماء، وعاصمة فلسطين الأبدية"

وفي درس القراءة صفحة (90): " إنها مدينة القيروان التونسية التي أطلق عليها رابعة الثلاث بعد مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس" .

كتب الصفوف من السابع حتى التاسع:

كتاب الصف السابع، الجزء الأول : في درس (فلسطين قلب الأمة) ذكرت مدينة القدس والأقصى (11) مرة، الصفحات (13 _ 16) كذلك ورد في الدرس نفسه الآية الأولى من سورة الإسراء التي فيها ذكر صريح للمسجد الأقصى، قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الإسراء:1) في القواعد صفحة (19) جملة :" بين أزقة القدس مشى المسيح عيسى، عليه السلام" وجملة : " إن القدس في خطر" وفي الحديث عن حياة الأديب الفلسطيني خليل السكاكيني، أشير إلى مدينة القدس في صفحة (35)، كذلك في الحديث عن حياة الشاعر الفلسطيني جميل الوحيدي، ذكرت مدينة القدس في صفحة (67).

في كتاب الجزء الثاني : في درس القواعد صفحة (11) " القدس عاصمة فلسطين" وفي التعبير صفحة (15) " يوم في المسجد الأقصى" وفي درس القراءة " من ذاكرة التاريخ، عمواس، ويالو، وبيت نوبا" تمت الإشارة إلى هذه القرى الثلاث، أنها تقع إلى الشمال الغربي من مدينة القدس " صفحة (17)، حيث ورد ذكر مدينة القدس بشكل صريح (5) مرات، وفي درس القواعد صور الخبر صفحة (21) جملة " القدس في أنفاس كل فلسطيني" وجملة " الأقصى ساحاته واسعة"، وفي درس الأفعال الناسخة صفحة (32) جملة " القدس زهرة المدائن" وجملة" كان المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى" صفحة (33)، وفي درس إن وأخواتها جملة :" إن مدينة القدس مباركة؛ بسبب مكانتها الدينية والتاريخية" صفحة (56)، كذلك صفحة (71) في القواعد جملة:" الاحتلال يمنع الصلاة، لكن القدس صامدة"، وجملة: " لعل القدس محررة"، وجملة: " القدس عريقة فيها عدد من الأماكن الدينية" صفحة (95)، وجملة:" أحرق الصهاينة المسجد الأقصى سنة 1969م "

صفحة (96). وفي درس القواعد صفحة (107) :" المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى"، وفي قصيدة (صوني دموعك) للشهيد البطل عبد القادر الحسيني، صفحة (117) تمت الإشارة إلى أن مدينة القدس مدينة الشاعر الشهيد الذي استشهد في معركة القسطل سنة 1948م، وفي درس القواعد صفحة (120)، جملة :" القدس لنا"، وجملة :" المسجد الأقصى مسرى الرسول الكريم، عليه الصلاة والسلام" ، ولكن ما لفت انتباهي في الطبعة الأخيرة لهذا الجزء من الكتاب سنة (2020) هو إسقاط بيت الشعر (أتت نوافذ القدس) من قصيدة (تقدموا) لسميح القاسم صفحة (68) على الرغم من وجوده في الطبعات السابقة.

كتاب الصف الثامن، الجزء الأول: في القواعد صفحة (27) جملة :" صلى الطفل في المسجد الأقصى" وفي درس القراءة صفحة (47)" رسالة من طفلة فلسطينية إلى أطفال العالم" الطفلة من القدس الشريف عاصمة الحلم الفلسطيني، كذلك في قصيدة رائعة جداً للشاعر السوري نزار قباني، صفحة(51) بعنوان (يا قدس) عبر فيها عن معاناة القدس الشريف، وأهلها، ومساجدها وكنائسها. وفي درس القواعد صفحة(56) جملة " كتبت: أحب القدس فوق جدار القمر" وفي درس قواعد آخر صفحة (67) جملة :" ستعاد القدس إلى سيادة أبنائها". وفي كتاب الجزء الثاني، في درس القواعد صفحة (12) جملة :" يا قدس، هل تقبلين الغرباء؟ وفي الإملاء صفحة(17) جملة " يدعو الأقصى المسلمين إلى تحريره" وجملة " تهفو قلوب الفلسطينيين إلى القدس" وفي درس القواعد صفحة (82) جملة " ما زالت القدس شاهدة على صمود أبناء فلسطين" وفي درس الإملاء صفحة (87) جملة " يا رب اسق القدس من فيض رحمتك".

وفي كتاب الصف التاسع، الجزء الأول، في قصيدة تغريبة المطر صفحة (54) للشاعرة السودانية روضة الحاج:" تطلب ختم أن تمضي إلى الأقصى، فتغسل عنه أدران الحياة" وفي درس البلاغة صفحة (86) جملة: " اللهم احفظ القدس وفلسطين من تهديد المحتلين" وجملة: "تفوح من جنبات الأقصى، ومدينة القدس رائحة التاريخ" صفحة (84).

وفي كتاب الجزء الثاني: صورة للمسجد الأقصى وقبة الصخرة، تزين الدرس الأول، (أحاديث نبوية شريفة) صفحة (3)، كذلك في درس القواعد صفحة(30) جملة: " انطلقت الحافلة إلى القدس صباح الجمعة" وفي درس قواعد آخر، صفحة (38) جملة:" صليت في الأقصى، وركعت له أربع ركعات" وصفحة (105) جملة" المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين" وسؤال للمناقشة صفحة (117) " حرر صلاح الدين الأيوبي المسجد الأقصى من دنس الصليبيين عام (586 هجري)، وما زال الأقصى يستصرخ صلاحاً آخر ليحرره من الصهاينة، نناقش ذلك.

وفي درس التعبير صفحة (121) نموذج بطاقة الهوية مكتوب فيها، مكان الميلاد: القدس.

كتب الصفوف من العاشر حتى الثاني عشر:

في كتاب الصف العاشر، الجزء الأول، درس المطالعة، صفحة (117) مقال للشيخ عمار بدوي/ مفتي محافظة طولكرم، بعنوان " القدس روح فلسطين" وقصيدة (مرثية بيت المقدس) للشاعر أبو المظفر الأبيوردي، صفحة (24) وفي درس القواعد صفحة (26) جملة: " ضمخ الأبرار تراب القدس الطهور بدمائهم الزكية، وهم ينافحون عنها الغزاة العابرين" وجملة: " عاش في القدس المسلمون والمسيحيون وهم متحابون" وفي درس التعبير، صفحة (34): " نكتب مقالة أدبية بعنوان " القدس: مكانتها التاريخية والدينية في وجدان الأمة" وجملة في التفريق في المعنى صفحة (72) " وضعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر، المسجد الأقصى على جدول الأعمال " وفي درس صلاح الدين الأيوبي من (ص83 - 89) تم ذكر القدس والإشارة إليها مرات عدة، ومنها ما قاله ابن الساعاتي:

تهز معاطف القدس ابتهاجاً وترضى عنك مكة والحجونا

فقلب القدس مسرور ولولا سطاك لكان مكتئباً حزينا

وفي صفحة (101) في الفهم والتحليل واللغة، جملة: " للقدس في قلوب أبنائها مكانة عظيمة "

وفي كتاب الجزء الثاني، في درس الخبر والإنشاء، صفحة (15) جملة: " عاش المسلمون

والمسيحيون في القدس متحابين متعاونين" وفي التقديم لقصيدة (دير ياسين) للشاعر الجزائري عبد الرحمن الزناقي تم ذكر مدينة القدس، على اعتبار أن قرية دير ياسين تقع غرب مدينة القدس، وفي القواعد صفحة (72) جملة: " يعد صلاح الدين القائد الأعظم الذي حرر بيت المقدس من براثن الاحتلال الصليبي" وفي العروض صفحة (97) تقطيع بيت الشعر :

قسم يا قدس أردده ودم الشهداء يؤكده

وفي تدريبات عامة في البلاغة (109) جملة: " القدس مهوى قلوبنا" وفي القواعد صفحة (125) جملة " قضية المسجد الأقصى قضية المسلمين جميعاً" وفي التقديم لهند طاهر الحسيني في الدرس التاسع صفحة (128) : ما زالت تؤدي دورها الريادي في قلب القدس الشريف" وذكرت مدينة القدس (8) مرات من (ص129إلى ص133) في الدرس، وسؤال على قصيدة (إنسان فلسطين) للشاعر يوسف الخطيب، صفحة (138) " لماذا رفضت القدس التهويد؟".

وفي كتاب الصف الحادي عشر، الجزء الأول، في القواعد في درس التوكيد، صفحة (25)، جملة: " القدس قبلة المسلمين الأولى، القدس قبلة المسلمين الأولى" وفي درس القراءة من صفحة (32 - 35) من رحلة ابن بطوطة تم ذكر القدس والمسجد الأقصى وقبة الصخرة (7) مرات، وفي القواعد صفحة (36) جملة: " إن الأمير تتكز هو من جلب الماء إلى القدس" وجملة: " زار ابن بطوطة" المدن الفلسطينية: غزة، والخليل، وبيت لحم، والقدس، واللد" صفحة (37) وجملة: زار ابن بطوطة المسجد الأقصى، أولى القبلتين، وثالث الحرمين، صفحة (39) وجملة: " تهفو نفسي إلى التجوال في القدس حاراتها القديمة" صفحة (54) وفي درس القراءة (من سيرة جبرا) صفحة (64) جملة: " درس في مدارس القدس" وفي القواعد صفحة (48) جملة: " مر على احتلال مدينة القدس خمسون عاماً".

وفي كتاب الجزء الثاني : في درس القواعد صفحة (39) جملة: " نحن- سكان القدس- نتضرع إلى الله صباح مساء" وفي درس النص الشعري (خليل الرحمن) صفحة (58) للشاعر معتز القطب: " ولد في مدينة القدس، ويعمل عميداً للبحث العلمي في جامعة القدس" وتم ذكر القدس والمسجد الأقصى في قصيدة (هذي البلاد لنا) صفحة (78) للشاعر سعيد أحمد يعقوب (6) مرات، وفي التحليل والفهم والاستيعاب (6) مرات أخرى، من صفحة (80) إلى صفحة (89)، وفي بين يدي النص صفحة (77) كذلك. وفي الأدب والبلاغة: ذكرت القدس (3) مرات في درس عصر الدول والإمارات، صفحة (9) وفي التقويم صفحة (10) سؤال " متى فتح صلاح الدين بيت المقدس؟" في عرض المناسبة لقصيدة (من القصيدة الفتحية الناصرية للجلياني) صفحة (29) نسبة إلى الفتح القدسي، وفي البلاغة صفحة (45) "بكيت حتى انتهت الدموع- صليت حتى ذابت الشموع- ركعت حتى ملني الركوع- سألت عن محمد فيك وعن يسوع" وفي ذلك إشارة إلى مدينة القدس، وفي درس بلاغة آخر:" متى فتح عمر بن الخطاب القدس ؟".

وفي كتاب الصف الثاني عشر الجزء الأول، في القواعد، صفحة (73) جملة: " ميعادنا القدس، عاصمة دولة فلسطين" وفي درس القراءة صفحة (33 - 40) "القدس بوصلة ومجد"، ورد اسم القدس (17) مرة، من مثل: " وتحتل القدس مكانة دينية كبيرة في الوعي الفلسطيني" وجملة " تبقى القدس فردوس الأمة المفقود" وفي القواعد أيضاً، صفحة (44) جملة: " تأوي القدس إلى كهف الوطن الحزين، وتصطحب معها فتيتها" وجملة: " كل مفردة خارج معجم القدس أعجمية لا متسع لها في الوعي" وفي درس التعبير، صفحة (46) المطلوب كتابة مقالة بعنوان: "القدس زهرة المدائن، وعاصمة فلسطين الأبدية" وفي درس القواعد صفحة (46) جملة: " من حرر القدس من الصليبيين؟".

وفي كتاب الجزء الثاني: في البلاغة صفحة (86) قال الشاعر عمر أبو ريشة في القدس:

وقف التاريخ في محرابها وقفة المرتجف المضطرب

كذلك قال المتوكل طه واصفاً القدس:

هنا القباب على الآفاق ساجدة بتبرها وهنـــاك المـوج والماس

هنا الشبابيك والحناء في يدها يضوع السهل من عكا لطوباس

تحليل وتعليق:

أقـدم شـكري واعـتزازي وتقديـري للقائمـين عـلى إعـداد المناهـج الفلسـطينية للمـواد جميعهـا، خاصـة اللغـة العربيـة للصفـوف كلهـا، مـن مؤلفـين، ومشـاركين في ورشـات العمـل لإعـداد الكتـب المدرسـية، وأخـص تقديـري للجنـة الوثيقـة الوطنيـة لمنهـاج اللغـة العربيـة، وعـلى رأسـهم البروفيسـور حسـن السـلوادي، والبروفيسـور محمـود أبـو كتـة، والبروفيسـور أحمـد الخطيـب، حيـث عمـل الجميـع عـلى ترسـيخ القيـم ومضامـين الهويـة الوطنيـة الفلسـطينية، وهـذا يـدل عـلى أن العاملـين عـلى إعـداد المناهـج وتطويرهـا يتمتعـون بالخـبرة، والكفـاءة العاليـة، والانتمـاء الصـادق، والحـس الوطـني العميـق، وتقديـر حجـم المسـؤولية الملقـاة عـلى عاتقهـم، وحرصهـم عـلى غـرس بـذور الانتمـاء للوطـن في الطفـل الفلسـطيني، واهتمامهـم الكبـير في المحافظـة عـلى الثوابـت الفلسـطينية، والـتي في مقدمتهـا، وعـلى رأسـها القـدس.

لقـد اهتمـت كتـب اللغـة العربيـة للصفـوف جميعهـا بشـكل عـام عـلى التأكيـد أن القـدس عربيـة فلسـطينية، وأنهـا عاصمـة فلسـطين الأبديـة، وتتربـع في وجـدان كل فلسـطيني، وعـربي، ومسـلم، ومتجـذرة في الفلسـطينيين حـتى النخـاع، وكان الاهتمـام بالمدينـة مـن الجوانـب كافـة : الدينيـة، والتاريخيـة، والتراثيـة، والسياسـية، وأشـارت عـلى أنهـا أولى القبلتـين، وثـاني المسـجدين، وثالـث الحرمـين الشريفـين، وأنهـا محـط أنظـار الحجـاج المسـلمين والمسـيحيين في العالـم، وركـزت الكتـب عـلى الفتـح الإسـلامي للمدينـة عـلى يـد الخليفـة عمـر بـن الخطـاب، وعـلى تحريرهـا مـن الصليبيـين عـلى يـد القائـد صـلاح الديـن الأيـوبي، وأشـارت الكتـب كذلـك إلى دفـاع الفلسـطينيين والعـرب عـن عروبـة القـدس؛ لهـذا فـلا غرابـة أن نجـد ذكـر القـدس في الكتـب الدراسـية للغـة العربيـة

قد ورد أكثر من (200) مرة، في جميع مهارات اللغة العربية، خاصة مهارة القواعد، لكن مما أثار دهشتي واستغرابي قلة ورود مدينة القدس أو ما يشير إليها في كتاب الصف الأول الأساسي إلى درجة العدم، فكان ينبغي مثلاً في درس نتعرف إلى الحرف (ق) ذكر مدينة القدس (قدس) القاف أول الكملة، أو نتعرف إلى الحرف (س) السين في آخر كلمة (القدس) وذلك لترسيخ هذه المدينة في أذهان الطلاب الصغار، فكان ينبغي التركيز أكثر على معاناة الفلسطينيين في مدينة القدس، وحصارها، ومنع الفلسطينيين من سائر مدن فلسطين من الدخول إليها، للصلاة، والتسوق.

ولاحظت أن الجمل والعبارات التي تناولت القدس والأقصى في معظمها مكررة، إمّا في اللفظ، أو المعنى والمضمون، ولم تغطِ مساحة القدس التاريخية من خلال الحضارات التي تعاقبت عليها، إما محتلة، أو فاتحة محررة.

يمكننا القول إنه لم تحتل مدينة فلسطينية الأهمية التي احتلتها القدس في كتب اللغة العربية المدرسية كمدينة عربية إسلامية؛ مما يدل على أهميتها، ومركزيتها لدى الفلسطينيين، حيث لا يمكن للفلسطينيين أن يروا دولتهم دون القدس عاصمة لهم، فهي رمز للسيادة والهوية، والشرعية، كمدينة احتلت بالقوة، والإرهاب، وأشارت الكتب إلى محاولات التهويد التي تتعرض لها مدينة القدس بعد الاحتلال للقسم الشرقي منها سنة 1967م، وتناولت المخاطر المحدقة بالقدس، والجدار الذي يطوقها، والحواجز التي تحد من حركتها، وأساليب الاحتلال، وممارساته التي تهدد طابعها الثقافي، ولاحظت أن الكتب أهملت التطرق إلى اقتحامات المستوطنين الإرهابيين من الحركات الصهيونية المتطرفة المتكررة للمسجد الأقصى، وإغفال ذكر المرابطين حماة القدس وأقصاها، الذين يدافعون بصدورهم العارية، خاصة المعلمة هنادي الحلواني، وشيوخ الأقصى وفرسانه أبطال معركة البوابات، وقادتها الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، والشيخ عكرمة صبري، والشيخ عبد العظيم سلهب.

ذكريات عاشوراء
بين الفرح والأحزان

الشيخ أحمد شوباش
مفتي محافظة نابلس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

فإن شهر محرم واحد من الأشهر الحرم، التي ذكرها الله في كتابه، قال تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} (التوبة: 36)، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا؛ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مضرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ) [1].

وقد سمي الشهر محرماً لتحريم القتال فيه، وقيل: لتحريم الجنة فيه على إبليس، والأول أصح.[2]

والمحرم أفضل الأشهر الحرم في قول الحسن البصري، ورجَّحه طائفة من المتأخرين، وأفضل محرم عُشره الأول[3]، وهي المقصودة بقوله تعالى: {وَلَيَالٍ عَشْرٍ}(الفجر: 2)، في قول للطبري، رحمه الله، والصواب أن المقصود بالآية عشر ذي الحجة.[4]

1. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين
2. شمس الدين محمد أحمد الخطيب الشربيني، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، 2/ 504.
3. زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ص: 79.
4. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الآملي، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 24/ 348.

من ذكريات النجاة في عاشوراء:

عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم، وفي هذا اليوم حصلت ذكريات، كانت موضع اهتمام رسولنا الأكرم، عليه الصلاة والسلام.

فعن ابن عباس، قال: (قَدِمَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المَدِينَةَ فَرَأَى اليَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ) .[1]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَدِمَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَدِينَةَ، فَوَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَسُئِلُوا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالُوا: هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَظْهَرَ اللهُ فِيهِ مُوسَى، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ، فَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَأَمَرَ بِصَوْمِهِ) .[2]

وعاشوراء يوم تاب الله فيه على قوم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَرْفَعُهُ، قَالَ: سُئِلَ: (أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ).[3] قال ابن رجب: صح من حديث أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد قال: سألت عبيد بن عمير عن صيام يوم عاشوراء: فقال المحرم شهر الله الأصم: فيه يوم تيب فيه على آدم؛ فإن استطعت أن لا يمر بك إلا صمته، فافعل .[4]

والمشروع من شكر المولى سبحانه على نجاة الأنبياء خاصة نبي الله موسى، عليه الصلاة والسلام، مما ثبت في الهدي النبوي الصيام.

1. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء.
2. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء.
3. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم.
4. ابن رجب الحنبلي، لطائف المعارف، ص: 114.

وكل ما روي في فضل الاكتحال في يوم عاشوراء والاختضاب والاغتسال فيه، فموضوع لا يصح، وورد في فضل الصدقة فيه والتوسعة على العيال أحاديث ضعيفة لا تصح.[1]

ذكريات مؤلمة في عاشوراء:

في العاشر من محرم سنة 61 من الهجرة استشهد الحسين، رضي الله عنه، وفجعت الأمة بفقد حفيد النبي، صلى الله عليه وسلم، وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة، وابن فاطمة سيدة نساء العالمين، وهو وأخوه الحسن، رضي الله عنهما، قال فيهما النبي، صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا، وأحبب من يُحبُّهما).[2]

عندما بويع ليزيد بن معاوية سنة 60هـ، بوصية من والده، رفض الإمام الحسين مبايعة يزيد، واتجه من المدينة إلى مكة، فبدأت كتب أهل العراق ترد إليه ليبايعوه، ويطلبون منه القدوم إلى الكوفة، فأرسل مسلم بن عقيل ليتقصى له الأمور، فجاء الناس ليبايعوا مسلماً على بيعة الحسين، وكان والي الكوفة النعمان بن بشير، وقد غض الطرف عما يجري من أمر مسلم، حتى وصلت الأخبار إلى يزيد فعزله، وعين عبيد الله بن زياد مكانه، عندها أرسل مسلم إلى ابن عمه الحسين يدعوه للحضور لما رأى الناس في الكوفة بايعوه، وظن أنهم جادّون في نصرته، وخرج مسلم ومعه أربعة آلاف، وحاصروا قصر عبيد الله بن زياد، لكن سرعان ما انصرف هذا العدد من أهل الكوفة عن مسلم وخذلوه، حتى لم يبق معه سوى ثلاثين رجلاً بعد أن أرسل ابن زياد إلى رؤساء العشائر يهددهم بجيش الشام ويطمعهم، فانسحبوا عنه وبقي مسلم وحيداً حتى قتل، رحمه الله، وكان أوصى إلى الحسين أن يرجع قائلاً: (ارجع بأهلك

1. ابن رجب الحنبلي، لطائف المعارف، ص: 112.

2. سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب، والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني.

ولا يغرنك أهل الكوفة، فإن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لكاذب رأي)، قتل مسلم يوم عرفة، وكان الحسين خرج يوم التروية، وقد حاول كثير من الصحابة منعه من الخروج، كابن عباس وابن عمر وعبد الله بن الزبير، إلا أنه لم يستجب لهم، ولما علم الحسين بمقتل مسلم أراد الرجوع، لكنه نزل على رأي أولاد مسلم، الذين أرادوا الثأر لأبيهم، وأرسل ابن زياد جيشاً برئاسة الحر بن يزيد التميمي، وصار الاشتباك قريباً، والحسين معه سبعون فارساً وذاك جيش فيه بضعة آلاف، حتى مات أصحاب الحسين، رضي الله عنه، بين يديه، وبقي نهاراً كاملاً كلما قدم عليه أحد رجع لا يريد قتله، حتى قدم عليه شمر بن ذي الجوشن، فصاح أن يحيطوا به ويقتلوه، حتى باشر قتله سنان النخعي، وقيل: قتله شمر بن ذي الجوشن .[1]

ويقول ابن تيمية: إن يزيد لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق.[2]

ومقتل الحسين، رضي الله عنه، مصيبة كبيرة، إلا أنها تهون عن مصيبة فقد النبي، صلى الله عليه وسلم.

واتخاذ عاشوراء مأتماً، لأجل مقتل الحسين بن علي، رضي الله عنهما، هو من عمل من ضل سعيه في الحياة الدنيا، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً، فكيف بمن دونهم[3]، فلا يحل فيه الصياح والنياحة، ولطم الوجه وشق الثياب، ولا ضرب الجسد بالسلاسل ونزف الدم، وتحرم فيه الأقوال التي فيها مبالغة بمدح الحسين والغلو فيه، واعتبار شد الرحال إلى قبره خيراً من الحج إلى بيت الله الحرام، والذبح والنذر له، وتحريم الزواج والمعاشرة بين الأزواج يومها.

1. أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، 8 / 181 وما بعدها، وتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، منهاج السنة النبوية، 4 / 472.
2. ابن تيمية الحراني، منهاج السنة النبوية، 4 / 472.
3. ابن رجب الحنبلي، لطائف المعارف، ص: 113.

أحوال النبي، صلى الله عليه وسلم، في صيام عاشوراء:

الحالة الأولى: أنه كان يصومه بمكة، ولا يأمر الناس بالصوم، فعن عائشة، رضي الله عنها:(أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِصِيَامِهِ حَتَّى فُرِضَ رَمَضَانُ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ شَاءَ فَلْيَصُمْهُ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ) .[1]

الحالة الثانية: أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لما قدم المدينة ورأى صيام أهل الكتاب له وتعظيمهم إياه، وكان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر به، صامه، وأمر الناس بصيامه، وأكد الأمر بصيامه والحث عليه، حتى كانوا يصوّمون أطفالهم.

الحالة الثالثة: أنه لما فرض صيام شهر رمضان ترك النبي، صلى الله عليه وسلم، أمر أصحابه بصيام يوم عاشوراء، وتأكيده فيه.

الحالة الرابعة: أن النبي، صلى الله عليه وسلم، عزم في آخر عمره على ألا يصومه مفرداً، بل يضم إليه يوماً آخر، مخالفة لأهل الكتاب، فعن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: (يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، إِنْ شَاءَ اللهُ، صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ ، قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .[2]

وقال عليه الصلاة والسلام، في فضل صوم عاشوراء: (وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ). [3]

1. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان
2. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء.
3. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس.

وقد جعل ابن القيم صيام عاشوراء على ثلاث مراتب[1]:

أكملها: أن يصام عاشوراء وقبله يوماً وبعده يوماً.

ويلي ذلك: أن يُصام التاسع والعاشر وعليه أكثر الأحاديث.

وآخرها: إفراد العاشر وحده بالصوم.

على أن الصوم في محرم يعد من أفضل الصيام، وقد ورد عن أبي هريرة، رضي الله عنه، يرفعه قال: (سُئِلَ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ).[2]

هذا وإن الزمان وعاء الحوادث والمناسبات، والتاريخ ظروف النوازل والواقعات، والمسلم مدعو لأن يأخذ من تلك الصفحات عبرة وعظة، وأن ينتفع بما فيها من صواب وحكمة، وأن يأخذ منها ما فيه الخير لحاضره ومستقبله، فيمارس ما ارتضته الشريعة، ويتجنب ما يعارض نصوص الكتاب والسنة، مهتدياً بالفهم السليم لنصوص الدين، وسير الصالحين.

1. محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، 2 / 72.
2. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم.

قضى ومضى المحدث العلامة المغربي

التطواني محمد بن الأمين الحسني

الشيخ د. حمزة ذيب
المحاضر في جامعة القدس
وعضو منتدى بيت الحكمة للمفكرين والباحثين - الرباط

ودَّع العالم الإسلامي بعامة، والمغرب العربي الشقيق بخاصة، العلامة المحدث راوية هذا العصر، محمد بن الأمين بن عبدالله، أبو خُبْزة الحسني التطواني، رحمه الله تعالى.

وكان لرحيل هذا العالم الجليل أثر عظيم في نفوس المؤمنين والدعاة إلى الله الخيرين، ومما لا شك فيه أن في فقد هذا الإمام المحدث خسارة كبرى لساحة العلماء الأجلاء، وانهيار ركن كبير من أركان الحديث في عصرنا الذي نعيشه، عصر الغربة لمثل هذا العِلْم الجليل والتخصص الدقيق عظيم الشأن، إذ إنَّ علم الحديث من أجلّ علوم الإسلام على الإطلاق، فيه حفظ للمصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي الحنيف، فهذا العلم قد حفظ لنا السُّنة النبوية الشريفة، التي هي وحي من الله سبحانه، وهي الركن الثاني بعد القرآن الكريم في التشريع الإسلامي، ومن غير السُّنة لا يكتمل التشريع، ومن غير السنة لن نكون في حظيرة الإسلام كما أراد ربنا وشرع، بل من ترك السُّنة عامداً متعمداً منكراً لها، فهو خارج من ملة الإسلام، كما لم يقر ولم يؤمن بأن القرآن الكريم من عند الله سبحانه، وقد قيض الله تعالى للسُّنة النبوية الشريفة من عمل عليها حفظاً وتدقيقاً وضبطاً وتنقيةً من كل ما ليس منها، ورواية علماء أفذاذ وعقول من الذكاء والقدرة الفهمية والعلمية بمكان، كما أنهم من التقوى والإخلاص لله سبحانه أيضاً بمكان، وكان من التدقيق والتثبت من السُّنة النبوية

الشريفة منذ اليوم الأول من خلافة أبي بكر الصديق والفاروق عمر وعلي، وكثير من الصحابة الكرام، والبحث هنا يطول والشرح كثير، ومتعدد الجوانب، وليس هذا المقال بمكان ذلك، فلهذا الموضوع موقعه ومكانه الذي يُفَصَّل فيه القول، ويتنوع فيه الحديث.

وفي سياق هذا العَلَم العلامة، نقول: لقد حباني الله تعالى ومنَّ علي بنعمه العظيمة والجليلة، التي يعجز اللسان عن شكر هذه النعم وذكرها: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} (إبراهيم: 34). فله الحمد والشكر، وله المنَّة والفضل، ومن هذه النعم العظيمة أن زُرت بلاد المغرب العربي مرات عدة، وطوفت في حواضرها الجليلة الجميلة، ومدنها ذات التاريخ والعراقة والأصالة.

فبلاد المغرب العربي من أجمل ما ترى عين الناظر، وأهلها من خيرة الأقوام والشعوب، كما أنها بلاد علم وإيمان، وأرض فقه وإسلام، وتتجلى فيها الحضارة في أبهى حللها، وأسمى معانيها، وأبهج صورها، والرحلة إليها طلب نفيس، وعمارة فؤاد وروح، وغذاء عقل ونفس.

وكنت حين زيارتي لهذا البلد العربي المسلم العريق، ترتب لي وزارة الأوقاف برنامجاً علمياً، يتمثل في مجموعة محاضرات أقوم بإلقائها في كثير من مدن هذا البلد الطيب بأهله، بترتيب من هذه الوزارة العتيدة.

ومن المدن التي قد نظم لي فيها محاضرات المدينة الشهيرة تطوان.

بلاد العرب أوطاني ... من الشام لبغدان

ومن نجد إلى يمن ... إلى مصر فتطوان

وقد أنشئت هذه المدينة بعد سقوط غرناطة في الأندلس، وكانت ملاذاً ومحضناً ومُهاجراً للمسلمين، الذين قد هُجِّروا من الأندلس بعد أن سقط هذا الحصن الأخير من الحصون العربية في الأندلس، وما زالت كثير من العائلات الأندلسية، التي هاجرت -بل هُجِّرَت- من تلك الديار تعيش في هذه المدينة، وفق الطراز المعيشي الأندلسي، والعادات الأندلسية، وكثير من هذه العائلات ما زالت تحتفظ بمفاتيح بيوتها في الأندلس إلى غاية اللحظة، وحينما

زرت بعضها برفقة ناظر الوقف (أي مدير الأوقاف) في هذه المدينة شاهدت مفاتيح بيوتها في الأندلس، التي تتوارثها إلى يومنا هذا، حتى إنني تذكرت أهلنا الفلسطينيين الذين هجروا من أراضيهم، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم بقوة السلاح، عام ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف (1948 م)، ومنهم من يحتفظ بمفتاح بيته في يافا وحيفا واللد والرملة وصفد وطبريا وعكا إلى يومنا هذا في شتاته، فقلت: ما أشبه الليلة بالبارحة!

يعود شيخنا وعالمنا الجليل المحدث محمد بن الأمين إلى هذه المدينة، فهو تطواني، ولد بدرب الجُعَيْدي بحي العيون من هذه المدينة، وذلك سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة الشريفة (1351 هـ) وفق اثنين وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد (1932 م) . تلقى تعليمه في هذه المدينة الجميلة المبدَعة، كما انتقل إلى فاس إلى جامعة القرويين، وهي أقدم جامعة في العالم الإسلامي، طلباً للعلم والمعرفة، وكان داعياً نشيطاً، يلقي محاضراته ودروسه العلمية على الطلبة في المواقع المتعددة، ومن نشاطاته الدعوية اهتمامه بالشباب، فأصدر في المعهد الديني في مدينة فاس مجلة خطية باسم " أفكار الشباب "، كما أصدر بعدها أيضاً مجلة " الحديقة "، وذلك سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد (1954م) وكانت مجلة أدبية ثقافية، وإلى جانب علومه بالشريعة الإسلامية، كانت له اهتمامات كبيرة في اللغة والأدب والشعر والنحو والصرف، كما أصدر بعدها جريدة " البرهان "، التي كانت تنتقد سياسة الاستعمار الإسباني في التعليم، واضطهاد الطلبة، والتضييق عليهم، إلا أنها توقفت عن الصدور بعد خمسة أشهر من صدور العدد الأول منها .

تفرغ بعد ذلك للتدريس والكتابة، ونشر مقالات كثيرة في صحف عدة ومجلات كمجلة " لسان الدين "، التي كان يصدرها تقي الدين الهلالي، ومجلة " النصر " ومجلة " النبراس " وأخيراً جريدة " النور " وغيرها، ثم اهتم بالمحدث الشهير محدث المغرب، العلامة أحمد بن الغماري، وأعجب بسعة اطلاعه، ورسوخ قدمه في علم الحديث، فكاتبه وجالسه وأجازه إجازة عامة، بما تضمنه فهرسه الكبير والصغير.

لقد تعددت مصادر العلامة المحدث، حتى غدا من مشاهير رجالات العلم والثقافة العربية والإسلامية، ومن العلماء المشهود لهم بالإحاطة الواسعة بمحتويات خزائن الكتب العربية والإسلامية، قديمها وحديثها، مخطوطها ومطبوعها، وفي هذا السياق؛ قال العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، رحمه الله تعالى: " لا يوجد من له إلمام بالمخطوطات بالحجم الواسع إلا ثلاثة أشخاص، وذكر منهم المحدث الشيخ محمد الأمين أبو خُبْزة".

لم يرحل الفقيد المحدث العلامة وحده، وإنما رحل معه تراث وقيم، ورحلت معه معارف وعلوم ومعرفة كبيرة في مجال المخطوطات والنفائس، من المصنفات التي رأى بعضها النور، وبعضها ما زال ينتظر.

يحضرني في أثناء كتابة هذا المقال ما قاله الخليفة هارون الرشيد، رحمه الله تعالى، حينما توفي قاضي القضاة أبو يوسف، والكسائي عالم العربية في يوم واحد، وكان الاثنان في صحبة الرشيد في إحدى رحلاته خارج بغداد، فقال حينها: " دفنت الفقه والنحو بالري[1]"[2].

كان عالمنا محمد ممن اتصلت به رواية الحديث الشريف، وقد اتصل سنده، وكان له هذا الشرف من خلال العلامة إمام عصره ونادرة دهره، الحافظ الكبير الشيخ أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغُماري، حيث أجازه إجازة عامة، بما حواه ثبته الكبير المسمى: " البحر العميق في مرويات ابن الصديق".

من الطريف أن نذكر بأن زميلي في جامعة القدس، وصنوي في تخصص الحديث الشريف في كليتي الدعوة والقرآن، الدكتور موسى اسماعيل البسيط، في أثناء زيارته لدولة المغرب الشقيق ونزوله مدينة تطوان قد زار الشيخ، وسلم عليه، واطمأن على صحته، وطلب منه أن يجيزه في الرواية للحديث الشريف بالسند المتصل، إجازة عامة في كل ما تصح روايته عن شيخه

1. الري مدينة إيرانية تقع على مسافة قصيرة إلى الجنوب الشرقي من طهران، معجم البلدان ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، 1977.
2. الأصل، للشيباني، المقدمة، ص31.

العلامة الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغُماري، فأجاب طلبه، وسلمه وثيقة الإجازة، وقد سلمني أخي وزميلي الدكتور موسى نسخة منها، وهذه الإجازة مما لا شك أنها من ضمن إجازات كثيرة منحها الشيخ الراحل لأهل العلم وطلبته، فجزاه الله خيراً كثيراً عن كل ما صنع، وقدمت يداه من الخير والعلم والعمل الصالح النافع، وجعل ذلك في ميزان حسناته، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

هذا وقد رغبت في أن أتناول هذه الشخصية العلمية الفذة في بلادنا في مملكة المغرب الشقيق، حرسها الله، حيث المغرب بلد يزخر بالعلماء الأجلاء، والفقهاء المتنورين، والمفكرين العقلاء، والأدباء الضالعين في الأدب واللغة، ونحن في المشرق العربي ظالمون لأهلنا ولحضارتنا في الغرب الإسلامي، حيث لا نعرف عن علمائهم وحضارتنا الأثيلة والجليلة على تلك الأرض العزيزة إلا القليل، وهذا قصور أيما قصور تجاه أولئك العمالقة في أنواع العلوم كافة، على عكسهم تجاهنا، فلديهم أسماؤنا كلها، ويعرفون عنا ما نعرفه عن أنفسنا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على غزارة الثقافة، وشدة الاهتمام، وعلو الهمة، والإرادة الحديدية لديهم، فأنعم بهم من أناس كبيري الشأن، وأعظم بهم من أهل علم ومعرفة، وأكرم بهم من أصحاب هاماتٍ، أقدامهم في الثرى، وهاماتهم في الثريا.

أردت أن أعرف بهذا العالم الجليل، والمحدث النحرير، والمحقق البارع، والمصنف الكبير، علَّنا في الشرق ننهل شيئاً من تلك الثقافة، ونرشف بلالة مما لدى أولئك القوم السراة، فلربما نرضي النفس بعض الشيء في مجال إنصاف ذاك الثرى، وتلك الأرض القاصية، ذات العبق التاريخي السامق، والحضارة الأثيلة الباقية على كر الجديدين، كما أن هذا جزء من الواجب المتحتم علينا، وفي أعناقنا تجاه هذا العلامة المحقق، والشاعر الأديب بخاصة، وتجاه علمائنا، وفقهائنا، ومفسرينا، ومحدثينا، ولغوييننا، وشعرائنا، وأدبائنا، وفلاسفتنا، وفلكيينا، وأطبائنا، ومهندسينا، وسياسيينا بعامة، في تلك الديار العامرة، وذاك الثرى الذي قد جبلت ذراته بدماء الشهداء، فغدا طيناً وتراباً مُكرَّماً عزيزاً طيباً.

وفي السياق ذاته؛ حين الحديث عن جهود الشيخ العلامة في مجال التصنيف والتأليف، فإننا نقول: إن المحدث البارع قد ترك كثيراً من المصنفات، ووضع كثيراً من المؤلفات، هذا عدا عن المقالات والحوارات والفيديوهات والصوتيات، التي غدت في هذا الزمن وعبر التطور التكنولوجي من وسائل العلوم والمعرفة، ومن الوسائل النافعة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وبيان الجائز من الممنوع، والحلال من الحرام، والإعجاز والبيان والقصص القرآني، وكذلك في كل مجالات العلم والثقافة والمعرفة.

نُدْلِف إلى ذكر بعض مما وضع وترك من العلم النافع، فنذكر منها:

* جراب الأديب السائح، يقع في خمسة عشر مجلداً.
* الشذرات الذهبية في السيرة النبوية.
* صحيفة سوابق وجريدة بوائق. يقع هذا المؤلف في جزئين.
* فتح العلي القدير في التفسير، (وهو تفسير لبعض سور القرآن الكريم).
* نظرات في تاريخ المذاهب الإسلامية.
* ملامح من تاريخ علم الحديث بالمغرب.
* الأدلة المحررة على تحريم الصلاة في المقبرة.
* رونق القرطاس ومجلس الإيناس.
* أربعون حديثاً نبوية في النهي عن الصلاة على القبور، واتخاذها مساجد، وبطلان الصلاة فيها.
* دروس في أحكام القرآن من سورة البقرة.
* نقل النديم وسلوان الكظيم.
* النقد النزيه لكتاب تراث المغاربة في الحديث وعلومه.
* الجواب المفيد للسائل والمستفيد.
* عجوة وحشف.

* رحلاتي الحجازية.

* إيثار الكرام بحواشي بلوغ المرام.

* استدراك على معجم المفسرين، طبع في بيروت، ونشرته المنظمة الإسلامية، يقع في جزئين.

وغير ذلك كثير.

أما التحقيقات فهي كثيرة أيضاً، منها على سبيل المثال لا الحصر:

* تحقيق أجزاء من الذخيرة للقرافي المالكي، طبع في ثلاثة عشر مجلداً.

* تحقيق أربعين حديثاً في الجهاد لعلي بركة الأندلسي.

* فهرس مخطوطات خزانة تطوان.

* تحقيق سراج المهتدين لابن العربي المعافري.

* تحقيق جزء من النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني، طبع في أربعة عشر مجلداً.

وغير ذلك كثير.

ولولا أن المقالة لا تسمح لذكرت ما هو أكثر من ذلك بكثير وأحصيته.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وعوضنا عن رحيله خير عوض، وقد كانت وفاته في الخامس من جمادى الآخرة، لعام واحد وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة الشريفة، وفق الثلاثين من كانون الثاني، لعام عشرين وألفين للميلاد (5 / جمادى الآخرة / 1441هـ _ 30 / 1 / 2020 م).

رحلة في كتاب التوابين

أ. كمال بواطنة
مدير دائرة الكتب المدرسية سابقاً

العلاّمة موفق الدين بن قدامة المقدسي، فقيه معروف، وهو صاحب التصانيف الرائعة والذائعة الكثيرة، ومن أشهرها كتاب (المغني)، وقد ولد في قرية جماعين في فلسطين، سنة 541هـ، وتوفي في دمشق بعدما بلغ الثمانين، وكان الناس يتعلّمون من حسن سمته، قبل أن يأخذوا من علمه، لما كان يظهر عليه من الوقار، والورع، وحسن الخلق...

ومن كتبه الطيّبة (كتاب التوابين)، واسمه يدلّ على محتواه، فهو يروي لنا توبة كثير ممّن هداهم الله، فتابوا وأنابوا، وأصلحوا، وإذا كان الأمر كما أنشد المتنبي:" وخير جليس في الزمان كتاب" فلقد شرفت بالجلوس إلى هذا الكتاب، وقرأت كثيراً من قصص التائبين، من أنبياء وأقوام وملوك وأبناء ملوك وأغنياء وعاصين، ومن أهل الكتاب، ومن غيرهم من أهل النحل الضالة...

ولا ريب أنّ التوبة ولادة جديدة، وخروج من دياجير الظلمة والتخبّط، إلى نور الإيمان واليقين، وكما حكى القرآن الكريم، فإنّ التوبة منهج من مناهج الأنبياء، عليهم السلام، فهذا نوح، عليه السلام، يقول لقومه: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا }(نوح:10)، وهذا هود، عليه السلام، يقول: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ }(هود:52)، وهذا صالح، عليه السلام، يقول لقومه ثمود: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ }(هود:61)، وهذا خاتم

الرسل، صلّى الله عليه وسلّم، يخاطب الناس: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ}(هود:3).

لقد لمست من كتاب التوابين كيف أنّ سماع آية عند صفاء نفس قد تفتح قلوبا غلفاً، وعيوناً عمياً، وآذاناً صمّاً، فتهتدي إلى الصواب، فهذا الفضيل بن عياض، رحمه الله، كان لصّاً يقطع الطريق، فسمع من يقرأ: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ}(الحديد: 16)، فيقول: بلى، والله قد آن، فكان هذا مبتدأ توبته، وأصبح بعد ذلك من العلماء الربانيين[1].

هذا أبو هاشم المذكّر يركب سفينة ومعه رجل وجارية، فشرب الشابّ النبيذ، وأخذ العود يعزف به، وأخذت الجارية تغنيه، فسأل الرجل أبا هاشم: أتحسن مثل هذا؟ يقصد الغناء، فقال: أحسن خيراً منه، ثمّ تلا عليه: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}(التكوير:1)، فجعل الرجل يبكي، فلما وصل أبو هاشم إلى قوله تعالى: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ }(التكوير:10) قال للجارية: اذهبي، فأنت حرّة لوجه الله، وأهرق الشراب، وكسر العود، ثمّ دنا من أبي هاشم فاعتنقه، وقال: يا أخي، أترى الله يقبل توبتي؟ فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} (البقرة:222)، فتاب، وظلّ على توبته حتى فارق الدنيا، فرآه أبو هاشم في المنام، فسأله: إلى أين صرت؟ قال: إلى الجنّة، فقال له: بم صرت إلى الجنة؟ قال: بقراءتك عليّ: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ }(التكوير:10)[2].

وهذا مالك بن دينار، رحمه الله، كان مكبّاً على الشرب، رأى في منامه رؤيا، فرأى تنيناً يكاد يهلكه، وفسّرتها له ابنته في المنام، التي ماتت، وكان يحبّها حبّاً كبيراً، وقالت له: إنّ التنين هو عملك السوء قوّيته، فأراد أن يغرقك في نار جهنّم، فتاب بعدها، وأصبح من كبار الدّعاة.[3].

1. موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، ابن قدامة، كتاب التوابين، دار ابن حزم، الطبعة:1، 1424هـ/2003م ص:135
2. المصدر نفسه، ص:146 - 147
3. المصدر نفسه، ص:132 - 133

هذا داود الطائيّ يذهب إلى مقبرة، فيسمع امرأة تنشد عند قبر:

مقيمٌ إلى أن يبعث الله خَلْقَهُ لقاؤك لا يُرجى وأنت قريبُ

تزيدُ بِلًى في كلّ يوم وليلة وتُسلى كما تبلى وأنت حبيبُ

فكان سماع هذين البيتين سبباً في بداية توبته، ولم يزل يتعلّم، ويتعبّد حتّى ساد أهل الكوفة[1].

وهذا شابّ سكران ينام على شطّ الغدير، فتقصده حيَّة تريد لدغه، فيقدّر الله له النجاة بأن يسّر له عقرباً تقطع الغدير من الجهة الأخرى، وصلت على ظهر ضفدع، ولمّا وصلت العقرب تمكّنت من الأفعى، فقتلتها بعدما وصلت سُرّة السكران، ثمّ كرّت راجعة من حيث أتت على ظهر الضفدع الذي كان ينتظرها، والعارف بالله ذو النون المصري يرى، فحرّك الرجل النائم، وقال له: انظر ممّا نجّاك الله، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحيّة التي أرادتك! فقال: إلهي، هذا فِعلك بمن عصاك، فكيف رفقُك بمن يُطيعك؟! وتاب إلى الله[2].

وهذا مجوسيّ يُؤوي امرأة مسلمة وبناتها بعدما فقدت زوجها وافتقرت، ورحلت من بلدها إلى بلده، وفي المنام يرى قصراً، ويرى رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، فيقول له: المسلمة عندك وبناتها؟ قال: نعم، قال: القصر لك ولأهل بيتك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنّة، خلقك الله مُسلماً من الأزل، فلمّا أفاق من نومه أسلم هو وأهل بيته[3].

وهذا سري السقطيّ كان يعظ الناس في المسجد، فوقف إليه شابّ حسن الشباب، فاخر الثياب مع أصحابه، فقال سريّ: عجباً لضعيف يعصي قويّاً، فتغيّر لونه، وجاءه في الغد، فسلّم، وصلّى ركعتين، ثمّ سأل سريّاً: سمعتك بالأمس تقول: عجباً لضعيف يعصي قويّاً! فما معناه؟ قال: لا أقوى من الله، ولا أضعف من العبد وهو يعصيه. فقال: يا سريُّ، فكيف الطريق إلى الله؟ فوعظه ونصحه، فتاب وتزهّد[4].

1. ابن قدامة، كتاب التوابين، ص:134
2. المصدر نفسه، ص:146 - 147
3. المصدر نفسه، ص:194 - 195
4. المصدر نفسه، ص:167

وهـذا طبيـب نـصرانيّ، كان يـداوي النـاس، ووقـف بجانـب محلّـه فقـير أرسـله فقـراء مثلـه انقطعـت بهـم السـبل، أنهكهـم الجـوع جميعـاً، فنظـر إليـه، وقـال: أتريـد أن تتـداوى؟ قـال: لا، فأخـذ الطبيـب يـده، وقـال: دواؤك معـروف، وطلـب إلى غلامـه أن يذهـب إلى السـوق؛ ليشـتري لـه لحمـاً وخـبزاً وحلـوى، فقـال لـه: إنّ هنـاك أربعـين مـن أصحـابي أصابهـم مـا أصابـني، فطلـب الطبيب مـن غلامـه أن يـأتي بطعـام يكفـي الأربعـين، ويؤمّـن لـه مـن يحملـه إليهـم، وقـال الطبيـب: لألحقـن بـه مـن دون أن يشـعر؛ لأقـف عـلى أمـره، وكان الأمـر كمـا قـال الفقـير، ومما لفـت نظـر الطبيـب أنّ شـيخهم لـم يـأكل حـتّى أكلـوا جميعـاً، وقـد سـأل عـن مصـدر الطعـام، فقـال لـه: طبيـب نـصرانيّ أعطانـا إيـاه، فقـال للجميـع: لا تأكلـوا حـتى تكافئـوه. قالـوا: كيـف نكافئـه؟ قـال: تدعـون لـه بالهدايـة، فدعـوا لـه جميعـاً، ولمّـا رأى الطبيـب صنيعهـم، وسـمع مقالتهـم طـرق عليهـم البـاب، ونطـق بالشـهادتين (*).

وهـذا شـابّ نـصرانيّ يدعـى عبـد المسـيح يصحب وفـداً مـن الحجيـج، وكان يراقب سـلوكهم، وعنـد حـدود مكـة، قـال لـه العـارف باللـه إبراهيـم الخـوّاص: لا يصـحّ لـك دخـول مكّـة، فاحـذر أن نـراك هنـاك، واللـه تعـالى يقـول: {يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا إِنَّمَـا الْمُشْرِكُـونَ نَجَـسٌ فَـلَا يَقْرَبُـوا الْمَسْـجِدَ الْحَـرَامَ بَعْـدَ عَامِهِـمْ هـذَا} (التوبـة:28)، وبينمـا القـوم بعرفـة وإذا بالشـابّ وقـد أحـرم، وعـرف إبراهيـم فأكـبّ عليـه يقبّـل رأسـه، وقـد أسـلم، ولمـا نـودي: يـا عبـد المسـيح قـال: أنـا اليـوم عبـد مـن المسـيح عبـده، ويقـول: عندمـا أبـصرت الكعبـة اضمحـل عنـدي كلّ ديـن سـوى الإسـلام.

قصـص كثـيرة للتائبـين حواهـا الكتـاب، تزيـد عـلى المئـة، فيهـا لنـا تذكـرة وعظـة، وقـد أوردت بعضهـا (بتـصرّف)، وأنصـح أن نقـرأ جميعـاً الكتـاب، ليـس مـرّة واحـدة بـل أكـثر، عـسى أنّ قـراءة قصـص بعـض التائبـين تجـدّد توبتنـا، وتزيـد إيماننـا.

* ابن قدامة، كتاب التوابين، ص:197 - 198

مضرب الأمثال

إعداد: أ. هالة عقل

رئيس قسم المطبوعات / دار الإفتاء الفلسطينية

الْحمـد للـه الَّـذِي جعـل مدينـة رسـوله، صـلى اللـه عليـه وسـلم، دار منتقلـه ونصرتـه، ومقـام حرمـه وأمنـه، وبعـد؛

فهي طيبـة وطابـة وهـي الـدار، وهـي المدينـة المنـورة الـتي شرفـت بهجـرة رسـولنا الأكـرم، صـلى اللـه عليـه وسـلم، إليهـا، وموطـن ولايتـه، فأمـا الـدار فلأمنهـا والاسـتقرار بهـا، وأمـا طابـة وطيبـة فمـن الطيـب، وهـو الرائحـة الحسـنة، فهـي آمنـة مسـتقرة، وهـي طيبـة العيـش حسـنة المسـكن، منهـا انتـشر النـور فعـمّ الدنيـا وجلـل أركانهـا، أحبهـا النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، وأحبهـا أصحابـه مـن المهاجريـن والأنصـار، واختصهـا اللـه عـز وجـل بفضائـل مِـن عنـده، ومزايـا مـن فضلـه، فهـي في الدنيـا أفضـل البقـاع بعـد مكـة المكرمـة، وهـي حـرام بحرمـة اللـه ورسـوله، صـلى اللـه عليـه وسـلم، إلى يـوم الديـن، ويحسـن بي في هـذا المقـام أن أورد بعـض الأمثـال النبويـة، الـتي تبـين فضـل المدينـة الـتي هاجـر إليهـا خـير البريـة وسـيد البـشر، صـلى اللـه عليـه وسـلم.

قرية تأكل القرى:

عَـنْ يَحْـيَى بْـنِ سَـعِيدٍ، قَـالَ: سَـمِعْتُ أَبَـا الحُبَـابِ سَـعِيدَ بْـنَ يَسَـارٍ، يَقُـولُ: سَـمِعْتُ أَبَـا هُرَيْـرَةَ، رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، يَقُـولُ: (قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: أُمِـرْتُ بِقَرْيَـةٍ تَـأْكُلُ القُـرَى، يَقُولُـونَ يَـثْرِبُ، وَهِـيَ المَدِينَـةُ، تَنْفِـي النَّـاسَ، كَمَـا يَنْفِـي الكِـيرُ خَبَـثَ الحَدِيـد)[*]

* صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس.

ومعناه أن رسولنا الأكرم، صلى الله عليه وسلم، أمر بِالْهِجْرَةِ إِلَى المدينة وَالنُّزُول بهَا، وقَوْله: (تَأْكُل الْقرى)، أَي: يغلب أَهلهَا سَائِر الْبِلَاد، وَهُوَ كِنَايَة عَن الْغَلَبَة، لِأَن الْآكِل غَالب على الْمَأْكُول، وَقَالَ النَّوَوِيّ: معنى الْأكل أَنَّهَا مَرْكَز جيوش الْإِسْلَام فِي أول الْأَمر، فَمِنْهَا فتحت الْبِلَاد، فَغنِمت أموالها.

أَو أَن أكلهَا يكون من الْقرى المفتتحة، وإليها تساق غنائمها، ويحْتَمل أَن يكون المُرَاد بأكلها الْقرى، غَلَبَة فَضلهَا على فضل غَيرهَا، فَمَعْنَاه: أَن الْفَضَائِل تضمحل فِي جنب عَظِيم فَضلهَا حَتَّى تكَاد تكون عدما.

وَقد سميت مَكَّة أم الْقرى، قيل: الْمَذْكُور للمدينة أبلغ مِنْهُ. وقَوْله: (يَقُولُونَ: يثرب)، يَعْنِي يسمونها بِهَذَا الاسم، وَاسْمهَا الَّذِي يَلِيق بهَا: الْمَدِينَة، قَالَ عِيسَى بن دِينَار، من الْمَالِكِيَّة: من سمى الْمَدِينَة يثرب كتبت عَلَيْهِ خَطِيئَة، قَالُوا: وَسبب هَذِه الْكَرَاهَة لِأَن يثرب من التثريب، الَّذِي هُوَ التوبيخ والملامة، أَو من الثرب وَهُوَ الْفساد، وَكِلَاهُمَا مستقبح، وهي: (تَنْفِي النَّاس)، أَي: تَنْفِي شرار النَّاس، (كَمَا يَنْفِي الْكِير)، الْكِير هُوَ دَار الْحَدِيد والصائغ، أَلا يرى أَنه مثل ذَلِك وَشبهه بِمَا يصنع الْكِير فِي الْحَدِيد، والكير إِنَّمَا يَنْفِي رديء الْحَدِيد وخبثه، وَلَا يَنْفِي جيده؟ [1]

قَالَ الْمُهلب بن أبي صفرَة: هَذَا الحَدِيث حجَّة لمن فضل الْمَدِينَة على مَكَّة، لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي أدخلت مَكَّة وَسَائِر الْقرى فِي الْإِسْلَام، فَصَارَت الْقرى وَمَكَّة فِي صَحَائِف أهل الْمَدِينَة. [2] فالإسلامَ ابتِداؤُه في المدينةِ، ثمَّ غَلَبَ على سائرِ القُرى، وعلا سائرَ المُلْكِ.

المدينة تنفي خبثها:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الإِسْلاَمِ، فَأَصَابَهُ وَعْكٌ، فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى،

1. عمدة القاري:10 / 234، بتصرف.
2. المصدر نفسه.

فَخَـرَجَ، فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: المَدِينَـةُ كَالكِـيرِ، تَنْفِـي خَبَثَهَـا، وَيَنْصَـعُ طِيبُهَـا) [1]

أعـرابي وعـك أي أصيـب بالْحمـى، وَقيـل: ألمهـا، فطلـب إلى الرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، إقالتـه مـن البيعـة، إلا أن رَسُـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم، امْتنـعَ عَـن ذلـك، لِأَن الْبيعَـة كَانَـت فرضـاً عـلى الْمُسـلمين أعرابـاً كَانُـوا أَو غَيرهـم، وإبـاؤه بعـد طلـب الْإِقَالَـة، لِأَنَّـهُ لَا يعـين عـلى مَعْصِيّـة. قَوْلـه: (فَخـرج) أَي: الْأَعـرَابِي مـن الْمَدِينَـة. قَوْلـه: (المدينـة كالكـير) بِكَـسْر الْـكَاف وَهُـوَ مَـا ينْفـخ الْحـداد فِيـهِ، قَوْلـه: (تَنْفِـي خبثهـا) وَهُـوَ الـرَّدِيء والغـش، أَي تَنْفِـي مـن لَا خـير فِيـهِ.

قَوْلـه: وتنصـع بِضَـم التَّـاء الْمُثَنَّـاة مـن فَـوق، وَسُـكُون النُّـون، مـن أنصـع، إِذا أظهـر مَـا فِي نَفسـه، وطيبهـا بِكَـسْر الطَّـاء، مَفْعُولـه أَي: تظهـر طيبهـا وتخلصـه، ويـروى: وينصـع، بِفَتْـح الْيَـاء آخر الْحُـرُوف وَسُـكُون النُّـون أَي: يظْهـر طيبهـا وَهُـوَ مَرْفُـوع عـلى أَنـه فَاعل ينصع، ويـروى: وتبضـع، بِضَم التَّـاء الْمُثَنَّـاة مـن فَـوق، وَسُـكُون الْبَـاء الْمُوَحـدَة، وَكـسر الضَّـاد الْمُعْجَمَـة، كَـذَا ذكـره الزَّمَخْـشَرِيّ، وَقَـالَ: هُـوَ مـن أبضعتـه بضَاعَـة، وَإِذا دفعتهـا إِلَيْـهِ، يَعْـنِي: أَن الْمَدِينَـة تُعْطِـي طيبهـا سـاكنها، وَقـد رُوِيَ بالضـاد وَالْخَـاء المعجمتـين، وَبِالْحَـاءِ الْمُهْمِلَـة، مـن النضـخ، والنضـح وَهُـوَ: رش المَـاء. [2]

وورد في السياق ذاتـه عَـنْ عَائِشَـةَ، هِـيَ بِنْـتُ سَـعْدٍ، قَالَـتْ: (سَـمِعْتُ سَـعْدًا رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، قَـالَ: سَـمِعْتُ النَّـبِيَّ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، يَقُـولُ: لاَ يَكِيـدُ أَهْـلَ المَدِينَـةِ أَحَـدٌ، إِلَّا انْمَـاعَ، كَمَـا يَنْمَـاعُ المِلْـحُ فِي المَـاءِ) [3]

هـذا الحديـث بيَـان أَن الَّـذِي يكيـد أهـل الْمَدِينَـة يذيبـه اللـه تَعَـالَى فِي النَّـار ذوب الملـح في المـاء، وَلَا يسْـتَحق هَـذَا ذَاك الْعَـذَاب إلاَّ عَـن ارتكابـه إِثْمًـا عَظِيمـاً، وقَوْلـه: (إلاَّ انمـاع): قَـالَ الْكرْمَـانِي: ذاب وَجـرى عـلى وَجـه الأَرْض مثـلا شَـيْئا. وَقَـالَ النَّـوَوِيّ: يَعْـنِي أَرَادَ اللـه الْمَكْـر بهـم، لَا يمهلـه اللـه،

1. صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب بيعة الأعراب.
2. عمدة القاري: 24 /274، بتصرف.
3. صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة

وَلـم يُمكـن لَـهُ، كَمَـا انْقَـضى شَـأْن مـن حاربهـا أَيَّـام بـني أُميَّـة، مثـل مُسـلم بـن عقبَـة، فَإِنَّـهُ هلـك فِي مُنْصَرفـه عَنْهَـا، ثـمَّ هلـك مرسـله إِلَيْهَـا يزيـد بـن مُعَاوِيَـة عـلى إِثْـر ذَلِـك، وَغَيرهمَـا مِمَّـن صنـع صنيعهمـا، وَقيـل: المُـرَاد مـن كادهـا اغتيـالاً، وعَـلى غَفلَـة مـن أَهلهَـا، لَا يتـم لَـهُ أَمـر، وَيحْتَمـل أَن يكـون المُـرَاد مـن أرادهـا فِي حَيَـاة النَّـبِي، صـلى اللـه عَلَيْـهِ وَسـلم، بِسـوء اضمحـل أمـره كَمَـا يضمحـل الرصـاص فِي النَّـار.

قَوْلـه: (كَمَـا ينمـاع الْملـح فِي المَـاء) ، وَجـه هَـذَا التَّشْـبِيه أَنـه شـبه أهـل الْمَدِينَـة مَـعَ وفـور علمهـمْ، وصفـاء قرائحهـم، بِالْمَـاءِ، وَشـبه مـن يُرِيـد الكيـد بهـم بالملـح، لِأَن نكايـة كيدهم لمـا كَانَت رَاجِعَـة إِلَيْـهِ شـبهوا بالملـح الَّـذِي يُرِيـد إِفْسَـاد المَـاء فيـذوب هُـوَ بِنَفسِـهِ. فَـإِن قلـت: يلْـزم عـلى هَـذَا كـدورة أهـل الْمَدِينَـة بِسَـبَب فنائهـم؟ قلـت: المُـرَاد مُجَـرّد الإفنـاء، وَلَا يلْـزم فِي وَجـه التَّشْـبِيه أَن يكـون شَـامِلًا جَمِيـع أَوْصَـاف الْمُشـبه بِـهِ نَحْـو قَوْلهـم: النَّحْـو فِي الْـكَلَام كالملـح للطعـام.[1]

المدينة المنورة مأوى الإيمان ومأرزه:

عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ، رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، قَـالَ: (إِنَّ الإِيمَـانَ لَيَـأْرِزُ[2] إِلَى المَدِينَـةِ كَمَـا تَـأْرِزُ الحَيَّـةُ إِلَى جُحْرِهَـا)[3]

قـال المهلـب: فيـه أن المدينـة لا يأتيهـا إلا المؤمـن، وإنمـا يسـوقه إليهـا إيمانـه ومحبتـه للنبـي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، فـكأن الإيمـان يرجـع إليهـا كمـا خـرج منهـا أولا، ومنهـا ينتـشر كانتشـار الحيـة مـن جحرهـا، ثـم إذا راعهـا شيء رجعـت إلى جحرهـا، فكذلـك الإيمـان لمـا دخلتـه الدواخـل لـم يقصـد المدينـة إلا مؤمـن صحيـح الإيمـان. وقـال أبـو عبيـد: قـال الأصمعـي: قولـه: (يـأزر) يعـنى ينضـم

1. عمدة القاري: 10/ 240، بتصرف.
2. يأرز أي : ينضم إليها ويجتمع فيها.
3. صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة.

إليها، ويجتمع بعضه إلى بعض. قال الأصمعي: وأخبرني عيسى بن عمر، عن الأسود الدؤلي أنه قال: إن فلانًا إذا سئل أرَزَ، وإذا دُعي اهتز. قال أبو عبيد: يعنى: إذا سئل المعروف تضام، وإذا دُعي إلى طعام وغيره مما يناله اهتز لذلك.(*)دل هذا الحديث على أن المدينة قلعة الإيمان، وحصنه الحصين، الذي يأوي إليه المسلمون عند اشتداد الفتن حفاظاً على دينهم، وفيه دليل على وجوب الهجرة على من خاف الفتنة على دينه.

وبعد؛ فهذه بعض الأمثال التي ذكرها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن مدينة هجرته، ومأوى جسده الطاهر، ومثوى الحلال والحرام، ومهد الدعوة، ومأرز الإيمان وموئله، ومهبط الوحي، وصارت كهفًا لأولياء الله وعباده الصالحين، ومعقلاً وحصنًا منيعًا للمسلمين ودار هدى للعالمين، فهنيئاً لمن سكنها واستقر به المقام فيها، ونسأله جل وعلا أن يمن علينا بزيارة مسجد رسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته الغر الميامين.

* عمدة القاري:10 / 240، بتصرف.

اقرأ وتذكر

أ.إيمان تايه
رئيس قسم النشر والتوزيع/ دار الإفتاء الفلسطينية

من شعر الحكمة

قال الإمام علي بن أبي طالب:

فَرضٌ عَلى الناسِ أَن يَتوبوا ... لَكِنَّ تَركَ الذُنوبِ أَوجَب
وَالدَهرُ في صَرفِهِ عَجيبٌ ... وَغَفلَةُ الناسِ فيهِ أَعجَب
وَالصَبرُ في النائِباتِ صَعبٌ ... لَكِنَّ فَوتَ الثَوابِ أَصعَب
وَكُلُّ ما يُرتَجَى قَريبٌ ... وَالمَوتُ مِن كُلِّ ذاكَ أَقرَب(*)

معيار التقوى

أخفى الله القبول؛ لتبقى القلوب على وجل، وأبقى باب التوبة مفتوحاً؛ ليبقى الإنسان على أمل، وجعل العبرة بالخواتيم؛ لئلا يغتر أحد بالعمل، لو كان الشكل والجسم أهم من الروح، ما كانت الروح تصعد للسماء، والجسم يدفن تحت التراب!!

كم من مشهور في الأرض، مجهول في السماء،وكم من مجهول في الأرض، معروف في السماء، المعيار التقوى، وليس الأقوى أو الأغنى أو الأذكى أو الأجمل !! قال تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (الحجرات: 13)

* ديوان الإمام علي بن أبي طالب، ص14.

حسن وأحسن

- العدل حسن، وهو من الأمراء أحسن
- الصبر حسن، وهو من الفقراء أحسن
- الورع حسن، وهو من العلماء أحسن
- التوبة حسنة، وهي من الشباب أحسن
- الحياء حسن، وهو من النساء أحسن
- السخاء حسن، وهو من الأغنياء أحسن
- وأمير لا عدل له كغمام لا غيث له، وفقير لا صبر له كمصباح لا ضوء له، وعالم لا ورع له كشجرة لا ثمر لها، وغني لا سخاء له كمكان لا نبت له، وشاب لا توبة له كنهر لا ماء له، وامرأة لا حياء لها كطعام لا ملح له

احذر!

يقول ابن الجوزي: من سرح لسانه في أعراض المسلمين، واتبع عوراتهم، أمسك الله لسانه عن الشهادة عند الموت.

سورتان في القرآن بدأتا بالويل، ويل للمطففين، وويل لكل همزة لمزة، الأولى في أموال الناس، والثانية في أعراضهم، فلا تقترب منهما.

قلب موقن

عِش في الحَياة باثنين؛ الأمل واليقِينْ، لأنهما لا يعرفان الانتهاء، الأمل يرمِم مَا تُهدمُه فينا الحياة، واليقين يقَوي القَلبّ برحمة الله...

ما كان مع زكريَّا ، عليه السلام، من الأسباب إلا شَيبة رأسهِ، و امرأة عاقِر ، ورغم ذلك كانت النتيجة: {يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ} (مريم: 7)، المسألة كلّها قلب موقِن.

طهارة القلب

كلما طهر القلب رقّ، فإذا رقَّ راق ،وإذا راق ذاق، وإذا ذاق فاق، وإذا فاق اشتاق ، وإذا اشتاق اجتهد، وإذا اجتهد، هبت عليه نسائم الجنة، فيفرح بالطاعة، ومن ذاق عرف، ومن عرف اغترف، ومن اغترف نال الشرف، يقول ابن القيم، رحمه الله تعالى: من دلائل رقة قلب المؤمن، أن يتوجع لعثرة أخيه المؤمن إذا عثر، حتى كأنه هو الذي عثر بها، ولا يشمت به.[1]

اللهم اجعلنا مِمَّن رقت قلوبهم، وراقوا وذاقوا وفاقوا، واشتاقوا واجتهدوا بطاعتك..

قال ابن القيّم، رحمه الله تعالى: "أطلب قَلْبك فِي ثَلَاثَة مَوَاطِن: عِنْد سَماع الْقُرْآن، وَفِي مجَالِس الذّكر، وَفِي أَوْقَات الْخلْوَة؛ فَإِن لم تَجدهُ فِي هَذِه المواطن، فَسَل الله أَن يمن عَلَيْك بقلب.. فَإِنَّهُ لَا قلب لَك".[2]

أعظم عهد

نمد الأيدي في كل يوم لنعاهد الله (إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعين).. فحياتنا كلها تمتد بين (الْحَمْدُ لله) وحتى (ولا الضالين).. فلا بد للوفاء بالعهد من قلب يطرب... أنساً بسماع (الرّحْمٰن الرّحِيم).. ويقف إجلالاً مع (مالِكِ يَوْمِ الدّين).. وينكسرُ راجياً (اهْدِنا الصّراط المُسْتَقِيم).. ويرتعد خوفاً من سبيل (المَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلا الضّالِين).. إنه أعظم عهد في أعظم سورة..

هل تعلم؟!

هل تعلم أن البسملة: للذاكرين ذخر ، وللأقوياء عز، وللضعفاء حرز، وللمحبين نور، وللمشتاقين سرور .

بسم الله: راحة الأرواح، بسم الله نور الصدور، بسم الله نظام الأمور، بسم الله تاج الواثقين، بسم الله سراج الواصلين ...

من قالها بلسانه شهد الدنيا، ومن قالها بقلبه شهد العُقبى، ومن قالها بسره شهد المولى ... كلمة جمعت بين جلال وجمال .

---

1. مدارج السالكين 436/1.
2. بدائع الفوائد، 149/1.

رحيق الوُدِّ

الأديب / يوسف شحادة
عضو الاتحاد الدولي للغة العربية

بـين اللطائِـفِ عِشْـتُ اليـومَ مُفْتَخِـرًا ... أَنِّي سَـمِعْتُ هديـلاً شَـدَّ وِجْـداني

مِنْـهُ البريـقُ يَشُـقُّ الوَجْـدَ مُبْتَهِـلاً ... في جـرحِ قَلْـبٍ أَنَّ حُـزْنَ أَلحـاني

إذْ زَغـرَدَ الطَّـيْرُ أَنْسـامًا لِطَلَّتِهـا ... سِـحرُ البريـقِ جـرى مـن وِرْدِ أشـجاني

أثـارَ قَلْـبَ مُتَيَّـمٍ لهـا شـغفًا ... نَظْمًـا رقيقًـا عريـقَ الجَـذْبِ أَضْنـاني

يـا مالـكَ الـرُّوحِ إِنِّي بِـتُّ أَعْشَـقُها ... مـاءَ الحيـاةِ لِـرَوْضٍ نَبْضُـهُ حـاني

يـا لَلْوَداعَـةِ قُـدْسُ العِشْـقِ أَرْدَفَهـا ... بـين الجَـداوِلِ وِرْدٌ دَمْعُـهُ قـاني

زَرْقـاءَ يَخْطِبُهـا حُـرٌّ بِمِعصَمِهـا ... ماسِـيَّةُ القَـدِّ في تِرْيـاقِ كنعـانِ

أَسْـدَتْ عَبـيرًا بعَيْـنَيِّ الهُـدى سُـحُبًا ... يَسْـتاكُ مِنْهـا رَحيـقُ الـوُدِّ تَحْنـاني

لَحَّنْتُهـا دُرَرًا تَنْسـابُ مِـنْ أُفُـقٍ ... قاماتُهـا قَـدْرٌ تَنسـيبُ عدنـانِ

بَيْضـاءُ خَمْرَتُهـا بالسِّـحْرِ تَفْتِنُـني ... لا غـولَ فيهـا ولا إِثْمًـا لِوَلْهـانِ

الصَّحْـنُ مُذْهَـبُ تِرْيـاقٌ يُـراوِدُني ... إذْ قُـلَّ في دمعـي عِـرقي وأركاني

انْـزَعْ قُيـودَ ظـلامِ اللَّيْـلِ عَـنْ يَدِهـا ... وافْخَـرْ بأَنَّـكَ قُـدْسِيُّ الهَـوى السَّـاني

واكْتُـبْ بِعَـزْمِ الحَـقِّ سِرَّ بُرْدَتِهـا ... أَنَّ الحبيـبَ سرى قَصْـدًا لأوطـاني

خُـذْ مِـنْ سِـقاءِ سـلامِ النُّـورِ بَسْـمَتَها ... يُبْريـكَ خالِقُهـا مِـنْ شَرِّ إِنْسـانِ

واسْرِجْ عُيونَـكَ مِـنْ زيْـتِ الضِّيـا وَلَهًـا ... فالقُـدْسُ خاطِـرَتي والقُـدْسُ عُنْـواني

باقة من نشاطات وأخبار مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن

أ. مصطفى أعرج
مدير عام مكتب سماحة المفتي العام

المفتي العام يستقبل السفير البرازيلي

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد أحمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك في مكتبه سعادة السيد اليساندرو كانديس سفير البرازيل لدى دولة فلسطين، حيث أشاد سماحته بالدعم الذي تقدمه البرازيل لدولة فلسطين في مجالات عديدة، وأطلع سعادة السفير على الانتهاكات التي تقوم بها سلطات الاحتلال وقطعان مستوطنيه ضد الشعب الفلسطيني، من خلال العمل على طمس آثار العرب والمسلمين في القدس، باحثين عن تاريخ مزعوم، مبيناً أن الاحتلال يمارس أبشع أنواع الاضطهاد العنصري و أخطرها ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، من خلال الاعتداء على المصلين، ومنع إعمار الأماكن الدينية في فلسطين، مطالباً المجتمع الدولي بوضع حد لهذه التجاوزات الخطيرة، التي تهدد تداعياتها الاستقرار العالمي، وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط.

وفي السياق نفسه، حذر سماحته من المسيرات والاستفزازات التي يقوم بها قطعان المستوطنين بحماية من سلطات الاحتلال في القدس، وسائر الأراضي الفلسطينية المحتلة، وإطلاق النار على أبناء شعبنا الفلسطيني بقصد القتل، محذرا من عواقب ذلك على المنطقة برمتها.

كما وضح سماحته أن المسجد الأقصى المبارك بأروقته وساحاته هو ملك للمسلمين وحدهم، ولا يحق لغيرهم التدخل في شؤونه وإدارته، مطالباً بضرورة وضع حد للاعتداءات التي تتم ضد أرض محتلة حسب القانون الدولي، كما اطلع سماحته السفير على الأخطار المحدقة بالمدينة المقدسة، من خلال منع البناء، وفرض الغرامات، وتهجير السكان، كما في حي الشيخ جراح وسلوان، والاستيلاء على الأراضي والاعتقالات المتواصلة...الخ.

ومن جانب آخر شكر السيد اليساندرو كانديس سماحته على حسن الضيافة والاستقبال، مؤكداً على دعم القضية الفلسطينية، ودعم حل الدولتين.

المفتي العام يشارك في وقفة احتجاجية نظمتها هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطينية

رام الله: بحضور دولة الدكتور محمد اشتية – رئيس مجلس الوزراء الفلسطيني – وبمشاركة العديد من الشخصيات الرسمية والشعبية والوطنية والدينية، شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية في الوقفة الاحتجاجية التي نظمتها هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطيني أمام مقرها، وذلك رفضاً لقرار سلطات الاحتلال الإسرائيلي بتمديد إغلاق مكتب تلفزيون فلسطين في مدينة القدس المحتلة للمرة الرابعة، وقال سماحته في كلمته: إن الاحتلال يحاول أن يغطي وجه الحقيقة، ويحجب المعلومة الصادقة في رحاب القدس وميادينها وشوارعها، من خلال منع المؤسسة الإعلامية للمرة الرابعة من ممارسة عملها في المدينة المقدسة، مشدداً على أن الحقيقة لن تحجب في القدس، وسيكون أبناء القدس كلهم مراسلين متحدثين ناقلين للحق والحقيقة، وأن القدس عربية إسلامية، وهي مدينة الحرية والأحرار، وأضاف أن الإعلام الحر والنزيه الذي يحاول الاحتلال خنقه، سيبقى بفضل جهود المخلصين كلهم بازغاً في سماء القدس، ويظهر الحقيقة ليس للفلسطينيين وحدهم، بل للعالم ككل.

المفتي العام يترأس الجلستين الخامسة والتسعين والسادسة والتسعين بعد المائةلمجلس الإفتاء الأعلى

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- رئيس مجلس الإفتاء الأعلى- الجلستين الخامسة والتسعين والسادسة والتسعين بعد المائة لجلسات مجلس الإفتاء الأعلى، بحضور أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس من مختلف محافظات الوطن، وقد دعا سماحته العرب والمسلمين إلى الذود عن الرسول الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، على إثر قيام مجموعة من المستوطنين المتطرفين بشتمه، صلى الله عليه وسلم، خلال تنظيمهم ما يسمى بمسيرة الأعلام في القدس المحتلة، مبيناً أن هذا التطاول يعد انتهاكاً سافراً وعنصرياً، محملاً سلطات الاحتلال عواقب هذا العدوان الآثم، الذي يتم تحت حمايتها ومرأى

عيونها، مبيناً أن هذا الاعتداء السافر ليس جديداً على قطعان المستوطنين، وإنما قاموا بمثله

في أكثر من مكان وزمان دون رادع، داعياً إلى ضرورة وقف هذه الاعتداءات، وإلزام سلطات الاحتلال بذلك، كما دعا سماحته إلى وحدة الصف ووأد الفتنة في مهدها، ونبذ الفرقة والاختلاف، والتحلي بالروح الوحدوية المسؤولة، وحث على تجاوز أي انحراف يهدف إلى النيل من سكينة المسجد الأقصى المبارك وقدسيته، مؤكداً على ضرورة تمتين الوحدة الوطنية، وتعزيز وحدة النضال للشعب الفلسطيني في مختلف أماكن تواجده.

المفتي العام يشارك في وقفة إسناد للقيادة الفلسطينية

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية - خطيب المسجد الأقصى المبارك في وقفة الإسناد والانتصار للقيادة الفلسطينية ولمدينة القدس المحتلة، وإسناداً للأسير المضرب عن الطعام في سجون الاحتلال الغضنفر أبو عطوان، وقد أكد سماحته أن القدس المحتلة هي عاصمة دولة فلسطين الأبدية، ولن نرضى عنها أي بديل، وأضاف أننا نقف هذه الوقفة إسناداً لأسرانا الأبطال الذين ضحوا بأمعائهم الخاوية من أجل نيل الحرية العاجلة للأسير أبو عطوان وإخوانه الأسرى المضربين عن الطعام، كما حيّا صمود أهل القدس في حي البستان، وبطن الهوى، والشيخ جراح، أمام إجراءات الاحتلال كافة، وطالب بالوحدة الوطنية، وعدم حرف البوصلة عن مدينة القدس، وشارك في الوقفة عدد من الشخصيات الرسمية والشعبية والوطنية والدينية.

مفتي محافظة نابلس يشارك في ندوة علمية دولية ونشاطات أخرى

نابلس: شارك فضيلة الشيخ أحمد شوباش - مفتي محافظة نابلس - في ندوة علمية ودولية نظمتها جامعة الزيتونة في تونس عبر تقنية (zoom)، وقد عقدت الندوة بعنوان "آداب طلبة العلم وأخلاق العلماء بين الواقع والمنشود"، حيث قدم فضيلته ورقة عمل بحثية بعنوان: "الشخصية الجاذبة من خلال همة العلماء في المجتمع المسلم" داعياً إلى ضرورة الارتقاء بالواقع ليتوافق مع الأخلاق حسب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وشارك في

ورشة عمل بعنوان: "الطاقة البشرية وإستراتيجيات النجاح" عقدت في مركز مدارات في محافظة نابلس، وشارك في وقفة شعبية مع الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، نظمت على دوار الشهداء، واستقبل مفوض الشرطة المقدم معروف عطاري والمقدم لنا مخلاتي من الشرطة المجتمعية، وكذلك مدير الدائرة القانونية، ومدير دائرة الرقابة في وزارة الاتصالات الفلسطينية، حيث تم بحث سبل التعاون مع الدار، علما بأن فضيلته يشارك في كثير من البرامج الإعلامية عبر مختلف وسائل الإعلام، يجيب فيها عن استفسارات المواطنين في شتى مجالات الحياة، كما ألقى فضيلته العديد من خطب الجمعة والدروس الدينية، تناول فيها مختلف جوانب الحياة، وشارك في حل كثير من النزاعات والخلافات العائلية والعشائرية.

مفتي محافظة جنين يشارك في برامج إعلامية ونشاطات أخرى

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب - مفتي محافظة جنين في لقاءات إعلامية عبر أثير صوت فلسطين، تناول فيها العديد من الموضوعات، فقد تحدث فضيلته عن أهمية العلم والتعليم من خلال بداية سورة القلم، مبيناً أهمية العلم وفضل العلماء، موضحاً أهمية الأخلاق في حياة الناس والمجتمع، كما تحدث عن خلق الإنسان وأهمية الإحسان في مجالات الحياة جميعها، موضحاً أن أول الإحسان هو الإحسان إلى الوالدين.

وشارك في ندوة مدرسية عبر تقنية (zoom) بدعوة من مديرية التربية والتعليم / قباطية، حول الزكاة وأهميتها في المجتمع ، وزار المشفى الميداني الأردني، وشكرهم على جهودهم وخدماتهم لإخوانهم ، أبناء الشعب الفلسطيني، مثمناً هذا الدور لهم، والتقى مدير الحكم المحلي الأستاذ غسان دراغمة، وبحث سبل التعاون المشترك، وقدم له مجموعة من إصدارات الدار.

مفتي محافظة بيت لحم يشارك في حفل افتتاح مسجد الجبعة الكبير ونشاطات أخرى

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة - مفتي محافظة بيت لحم- في حفل افتتاح مسجد الجبعة الكبير، وألقى كلمة بالخصوص، وشارك في ندوة مع مؤسسة أمريكية عبر تقنية (zoom) بعنوان: "الدعاء في القرآن الكريم" وندوة أخرى بعنوان: "القتل على خلفية الشرف" عبر تقنية (zoom) بالتعاون مع مؤسسة لجان المرأة للعمل الاجتماعي، وأخرى في فضائية معا بعنوان: "قانون حماية الأسرى" وشارك في حفل افتتاح مشروع الأمن الغذائي والتمكين الاقتصادي، بدعوة من مؤسسة كرامة لتنمية المرأة والطفل، وحضر حفل تخريج الفوج الخامس والأربعين من طلبة جامعة بيت لحم، وحفل تخريج أطفال جمعية الرباط "فوج القدس فوج الصمود والتحدي" والتي تمت في قصر المؤتمرات، وفي وقفة تضامنية مع الأسرى المضربين عن الطعام في سجون الاحتلال، وذلك أمام مكتب الصليب الأحمر في المحافظة، علماً بأن فضيلته يشارك في كثير من البرامج الإعلامية الدينية في مختلف وسائل الإعلام، يجيب فيها عن استفسارات المواطنين بالخصوص، كما شارك في حل كثير من النزاعات العائلية والعشائرية، بالإضافة إلى مشاركته في إلقاء العديد من الدروس الدينية .

مسابقة العدد 155

السؤال الأول: ما.....؟

1. حكم صلاة الجماعة عند أكثر الحنفية والمالكية
2. أدنى درجات صلة الرحم
3. معنى المنهج في اللغة
4. الشهر المحرم الرابع غير المتوالي مع الثلاثة الأخرى
5. أكمل مرتبة لصيام عاشوراء عند ابن القيم
6. مناسبة قول هارون الرشيد: (دفنت الفقه والنحو بالري)
7. القرية التي تأكل القرى
8. معنى لفظ (يأزر) في قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الإيمان ليأزر إلى المدينة)

السؤال الثاني: من.....؟

1. المخاطب بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ...}(القصص: 85)
2. الذي بلّغ الرسول، صلى الله عليه وسلم، برفيقه في الهجرة
3. الذين لعنهم الرسول، صلى الله عليه وسلم، من المشاركين في العملية الربوية
4. صاحب كتاب:

أ. سراج الملوك

ب. المغني

5. القائل:

أ. ونفس الشريف لها غايتان ورود المنايا ونيل المنى

ب. فغدوت في أكناف مكة داعياً وحملت ما ناءت به الأجسام

ت. في الهجرة النبوية اتسع المدى وتنسم التاريخ بالأخبار

ث. وقف التاريخ في محرابها وقفة المرتجف المضطرب

ج. هنا القباب على الآفاق ساجدة بتبرها وهناك الموج والماس

ح. والصبر في النائبات صعبٌ لكن فوت الثواب أصعب

خ. الصحن مذهب ترياق يراودني إذ قلَّ في دمعي عرقي وأركاني

السؤال الثالث: متى .....؟

1. يطلب الاشتراط الوارد في قوله تعالى: {فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (النساء: 89)
2. يكون الطلاق سنياً
3. يرفع الحرج عن المطلقة رجعياً بترك بيت مطلقها خلال العدة

السؤال الرابع: كم .....؟

1. عدد المهاجرين من المسلمين رجالاً ونساء إلى الحبشة في الهجرة الأولى
2. مرة ذكرت القدس في كتاب اللغة العربية للصف الثاني الأساسي، الجزء الأول

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل موزعة على ستة فائزين بالتساوي

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- أن لا يقل عمر المتسابق عن 10 سنوات
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 155

مجلة الإسراء

الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام / دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 القدس الشريف

ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 153

السؤال الأول: ما.....؟

• الريان

• الخيرية

• لا يفطر

• سنة، (جائز)

• الرؤيا الصالحة في النوم

السؤال الثاني: من .....؟

. الذي لا يدع قول الزور والعمل به

. أسامة بن زيد

• الأشعريون

. أبو بكر الصديق

القائل .....؟

. ورقة بن نوفل

. عروة بن الورد

. أبو العتاهية

السؤال الثالث: كم .....؟

• سبعين خريفاً

• كل ليلة من لياليه

السؤال الرابع: ماذا .....؟

• "يشد مئزره، ويحيي ليله، ويوقظ أهله"

• تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا

السؤال الخامس: ماذا .....؟

• في 13/ 4/ 1989م

• بعد انتهاء عدتها

• 1458م، (بعد فتح القسطنطينية بخمس سنوات)

الفائزون في مسابقة العدد 153

اسم الفائز	العنوان	قيمة الجائزة
1. حمزة حسن أحمد الطردة	الخليل	250
2. أحمد فرح روبين سمحان	قلقيلية	250
3. حذيفة محمد دغش	بيت لحم	250
4. ميار شريف مفارجة	رام الله	250
5. رجاء عمر عبد الرحمن أبو شاهين	ضواحي القدس	250
6. توفيق محمود صالح	طوباس	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم المختلفة من المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها، إن لم تكن مروية في صحيحي البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس، سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، أو حواشٍ سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع إلكترونية .

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.ps - israa@darifta.ps